الفصل الثاني

التنغيم والحوار

تقديم:

تُقَدِّمُ اللغةُ الحواريةُ ما يدور بين شخصين في لغة منطوقة تصحبها عناصر صوتية تحمل دلالات إضافية تقوم بتوجيه الكلام من معنى إلى آخر، إنها عملية تداولية تبين أثر استعمال اللغة كوسيلة تخاطب بين الناس، لهذا كان علينا دراسة المصاحبات الصوتية لتلك العبارة، وما يتبعها من تأثير تداولي على معانيها، فيُحَمِّلُ المتكلمُ عباراتِه بتلك المصاحبات الصوتية في أثناء حواره التداولي، لهذا نجد العبارة نفسها تعنى عدة دلالات يقوم المتكلم بواسطة تلك العناصر الصوتية بتحديد المعنى المراد في ذهنه؛ ثم يقوم السامع بحل شفرات العبارات، ثم النزوع للعمل بها "لقد وضّح لسانيو حلقة براغ اللسانية (Karcevski), (Mathesius)) تقطيعا لدفق الكلام يخضع لعوامل تداولية، كتقسيم الجملة إلى إنشاء وخبر، (هذا تقابل تعود صيغه الأولى إلى العصور القديمة). وشهدت فترة السنوات نفسها ظهور أعمال جديدة تتناول تعلم نغمية اللغة الإنجليزية... ومنذ السنوات١٩٦٠، بدأت الدراسات التي تعتمد على الآلات"[١].

(١) الصوتيات: ١٢٣

لقد انطلق هذا التحليل من الربط بين الجملة النحوية والظواهر الصوتية المصاحبة لتوليف رسالة كلامية تداولية، ويمكن إدراك ذلك بملاحظة الظواهر النبرية والنغمية والمقطعية بتلك الرسالة، وما تعبر عنه من معان مختلفة. "وقد كشفت الأعمال التي تناولت لغات أوربية مختلفة عن وجود علامات سمعية **لهيكل نغميٍّ** ذي مكونات مشابهة للمكونات التقليدية للنحو (لكن غير معادلة لها) كالفقرة والمنطوقة النغميتين، والمجموعة التنغيمية (أو المجموعة الكبرى)، والمركب الصواتي (مجموعة صغرى، أو مجموعة نبرية، أو مجموعة معنوية) والكلمة والنغمية والقدم والمقطع والقافية"(١).

هذه العلامات السمعية صنعتها هياكل نغمية تظهر في نطق المتكلم؛ ثم تُنقل من خلال الحوار إلى السامع الذي يحِلُّ شفرتها لوجود هياكل نغمية مماثلة لها في ذهنه، فالسامع لا يتلقى الرسالة الصوتية من المتكلم، بل يتلقى هياكل نغمية تحقق له التواصل.

فهناك "عوامل نغمية في الكلام العفوي، وفى مواقف حقيقية كالحوار مثلا، الذي تكون فيه الروابط بين النحو والنغمية أقل وضوحا، الذي تطغى فيه وظائف نغمية أخرى، لقد انفجر عدد من الدراسات المتعلقة بالنغمية... ،إذ نجد دراسات حول النغمية والخطاب، والنغمية وشخصية المتكلم، والتعبير عن المواقف والعواطف، والفروقات بين اللهجات وبين الثقافات... وخُصص لهذه المواضيع مؤتمر دولي يعقد كل سنتين بعنوان نغمية الخطاب، وبذلك فإن الآلات الجديدة التي تستطيع أن تبين بطريقة مرئية القناة الصوتية وحركاتها... باتت تسمح بإجراء دراسات مُعَّمقة حول التفاعل بين النغمية ونطق المقاطع، وحول بنية الدماغية التي تشترك في العمليات النغمية"(٢).

لقد وصلت الدراسات الحديثة إلى هذا المستوى من العمق في تحليل العبارة المنطوقة بكل خصائصها الصوتية، وربطها بالمواقف الحوارية والخطابية، والعمليات العقلية المصاحبة لها بالبنية الدماغية لطرفيّ الحوار، فالمتكلم ينطق حسب اتفاق غير

(١) الصوتيات: ١٢٤

(٢) الصوتيات: ١٢٥

معلن بينه وبين السامع على خصائص صوتية يضعها في كلامه، كوسيلة تواصل معروفة ومحفوظة بأدمغتهما على الرغم من عفويتها.

من هنا كان الرابط قويا بين الحوار والتنغيم المصاحب له، لذا كان علينا عند دراسة النص القرآني (كنص منطوق جاءنا في قراءة متواترة تحرت الدقة المتناهية التي تجعله نصا منطوقا) أن ندرسه في إطار قضيتي الحوار والتنغيم.

أولا: التنغيم Intonation

١- ما التنغيم؟

هو درجة الصوت التي تصدر عن المتكلم؛ وتتحكم فيها آلة داخله هي الأوتار الصوتية (شدة أو ضعفا) فتجعل الصوت شديدا أو ضعيفا حسب كمية الهواء الخارج عبر تلك الأوتار، وشدته أو ضعفه عند احتكاكه بها. "فهو عبارة عن تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو خاص بالجملة أو أجزاء الجملة، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة"[(١)] وهو" الصور العامة التي تتمثل في مجموعة النغمات، التي تشمل نوع خاص من أنواع الحدث اللغوي." [(٢)]

قيمة تحليل درجة الصوت (التنغيم):

"نتيجة لأن النغمية تتمثل في تغيرات التردد الأساسي، وفى متلازمات نوعية الصوت (طريقة اهتزاز الطيات الصوتية) وفى تغيرات المدة والشدة المادية، كذلك في البدائل الصوتية..فإن تغيير هذه المعايير يستلزم مشاركة كل الأعضاء التي تسمى بـ أعضاء النطق"[(٣)] لهذا يجب إدخال كل العناصر السابقة ضمن عملية

(١) الدراسة الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث: ٢٣٢

(٢) الدراسات الصوتيات عند العلماء العرب: ٢٣٤ وأصوات اللغة ٥٥ وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي١٩٤ ومدخل إلى علم اللغة٨٢.

(٣) الصوتيات: ١٢٥.

تحليل التنغيم الذي يكوِّن خصائص الصوت بدرجاته التنغيمية المختلفة.

"يتعلق العروض (أو دراسة التنغيم بالمعنى الواسع) بما يوجد في مستوى أعلى من مستوى أصغر وحدة قابلة للعزل على الصعيد الصوتي أو الصوتمي، سواء سمّي وحدة صوتية (phone)، أو قطعة، أو صوتما، تبعا لمستوى التحليل المتوخى[١]." و"يتميز كل صوت بطيفه المحدد طبقا لمناطق توزّع الطاقة (محدثا جرسا متميزا على صعيد الإدراك والسمع). وبالمدة التي تتنوع أثناءها الشدة الجُمَليِّة والتردد الأساسي ،إذا كان الأمر يتعلق بصوت مركب دوريّ." ويُمكن لكل واحد من المقاييس المستخرجة من طيف، ومدة، وشدة وتردد أساسي أن يستعمل في لسان معين في مستوى بيان خصائص الوحدات الدنيا من نوع الوحدة الصوتية والصوتم والقطعة ...

"لكن هذه المقاييس السمعية تصلح أيضا لبيان خصائص الظواهر العروضية أو التنغيمية (بالمعنى العام) المفاصل والوقف والتنبير والتنغيم (بالمعنى الضيق للفظ الموافق للاتساق النغمي على الصعيد الإدراكي) يمكَّن انتظام تغيِّرها المتفاوت مدى على المحور الزماني من تحديد مفهوم الإيقاع في المستوى الإدراكي، ويمكّن عدد الوحدات الدنيا الملفوظة في الثانية الواحدة (وحدة صوتية أو مقطع) من أن نتكلم على منسوب التدفق أو نسقه العام أو المحليّ.[٢]"

يبين ذلك قيمة الأصوات التطريزية في إيجاد العلاقة بين إنتاجها وسماعها وإدراكها بخصائصها النطقية والسمعية والطيفية، وذلك لما تحمله كل جملة من طاقة جُمليَّة، فكل صوت يتميز بطيفه المحدد بناء على مناطق توزيع الطاقة الخاص به، والمدة الزمنية التي ينطق فيها ،وتردده الأساسي، مما يُظهر خاصية كل صوت، وإمكانياته. ويبدو هذا من خلال المظاهر العروضية أو التنغيمية المختلفة نحو: (المفصل. الوقف . النبر . التنغيم).

---

(١) المعجم الموسوعى الجديد فى علوم اللغة: إشراف أوزوالد دوكرو ـ جان ـ ماري شافار، ترجمة عبد القادر المهيرى ـ حمادى صمود، المركز الوطنى للترجمة تونس.٢٠١٠ ص٣٤١.

(٢) المرجع السابق: ٣٤١.

٢. نوع التنغيم ووظيفته :

يقول كلود هاجيج عن التنغيم "حقل مفتوح لافتراضات النزعات العامة، وقلما استكشف، إنه حقل التعبيرية. لا ريب أن التنغيم لا يتفرد بالتعبيرية، مثلما أن المنظومات الصوتية لا تنفرد بالتعبير عن المعنى التصوري. إلا أن التنغيم يقوم في التعبيرية بدور كبير، قد يتعداها ربما إلى حقل النحو المجرد. التنغيم هو مجموعة التغيرات التي تطال كل سلسلة من الكلمات... يساهم التنغيم، ولو بشكل منقوص، بتقليص الفجوة بين التنوعات الهائلة للمعاني، والفقر في الوسائط الشكلية التي تعبر عنها."[(١)] فبين كلود قيمة التنغيم في قضية الحوار ودوره فيها، وكيف أن التنغيم يوجه البناء النحوي للجملة، ويحدد بشكل كبير المعنى المراد من العبارة.

١-٢ دور المتكلم في تحديد وظيفية التنغيم:

إن تحديد وظيفة التنغيم تنطلق من نوع التنغيم، الذي ينطق به المتكلم، فالمتكلم الذي يعبر عن معنى ما؛ يختار له النمط التنغيمي الذي يعطيه هذا المعنى؛ الذي له مثيل في ذهن السامع كنمط تنغيمي لديهما، فيتم التواصل بينهما في إطاره، مما يدفعنا إلى القول: إنه على الرغم من أن العلماء ذكروا وظائف كثيرة للتنغيم؛ لكن يظل التحديد الدقيق لوظيفة التنغيم سرا كامنا في نفس المتكلم؛ يدركه السامع أو لا يدركه، فعلى قدر إدراك السامع لمضمون الرسالة (صحيحا كان أو خطأً) يكون سلوكه كرد فعل على ما فهمه من تلك الرسالة؛ هذا الإدراك لتلك الرسالة هو عندي أساس التفاعل بين طرفي الحوار (المتكلم والسامع) في أحاديثهما المستمرة في كل يوم.

وقد أشارت جاكلين إلى دور المتكلم بصفته المؤدي للغة المنطوقة: "يدعو تأثير عوامل الأداء، وكذلك تعدد وظائف التنغيم إلى توخي الحذر الشديد في

(١) بنية الألسن: كلود هاجيج، تر/ أحمد حاجي صفر. المنظمة العربية للترجمة. ط١ ٢٠١٦ ص ٤٩.

صياغة قواعد النغمية، إذ لا يوجد في الوقت الحالي نظام ممكن للتعرف على التنغيم، على غرار الأنظمة الموجودة للتعرف على الكلام، ويعود ذلك إلى أنه يتم تشكيل نغمة القول بواسطة عدد كبير من العوامل التي إلى حد ما لا يمكن التنبؤ بها. كما أن تسارع دفق الكلام يحد من دقة التركيبة النغمية ومن عدد الموسوم من مستويات المكونات.[١]"

لقد تَحَكَّمَ المعنى في بناء العبارة؛ وكان التنغيم الذي يصنعه المتكلم هو دليلنا على ذلك، فالتنغيم تابع لما استقر في ذهن المتكلم من معنى لذا يختار لهذا المعنى هذا التنغيم المسطح (المستوى)أو الهابط أو الصاعد؛ ليعبر به عمَّا في ذهنه من فكرة، وقد ذكر دور التنغيم في تقسيم الآيات، والكلام العادي على أساس منه؛ وجعله مرتبطا برغبة المتكلم في التعبير عن معان محددة. د.تمام حسان، فقال: "وكثيرا ما يرى المتكلم أن المعنى يتطلب تقسيم الجملة تنغيميا بحسب الاعتبارات الإلقائية إلى فقرة تنفيسية تتصل بوجود مفاصل من الألفاظ كأدوات العطف وغيرها؛ فيقف المتكلم عند كل فقرة تنفسية منها بنغمة مسطحة على نحو ما حدث في الآيات التي أوردناها"[٢].

٢-٢ وظيفة التنغيم:

ذكر العلماء وظائف كثيرة للتنغيم؛ تتنوع بتنوعه في كل لغة أو لهجة حسب خصائصه النطقية في تلك اللغات واللهجات، ذكرت جاكلين كثيرا منها بصورة عامة، ثم قامت بشرح كل وظيفة مع تحليل صوتي لها كتنغيم مستقل له خاصية صوتية؛ تتضح معها قيمته الدلالية؛ بناءً على الأداء الصوتي له. تقول: "يمكن تعريف النغمة من خلال وظائفها التي تتضمن: وظيفة معجمية، وتحديدية، وتداولية، وسلوكية، وانفعالية، وتعريفية، وأسلوبية. ومن وجهة النظر اللسانية، غالبا ما توصف النغمية على أنها مجموع ظواهر التبير المعجمي والتنغيمي، وكذلك

(١) الصوتيات: ١٤١.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٠.

مجموع عوامل الأداء، ومن بينها الإيقاع"[١] يجب أن نُدْخِل تلك العناصر ضمن تحليلنا للتنغيم في كل لغة نريد أن نعرف معانيها المختلفة.

ونحاول استعراض أهم وظائف التنغيم؛ لنبين القيمة الكبرى للتنغيم في إضافة معان جديدة للجملة. فقد برع المتكلمون في إبداع معان إضافية للجملة؛ باستخدام درجة الصوت (التنغيم)، فلا يمكن تحديد كل هذه الوظائف؛ لأن الإبداع البشري لا ينتهي، لهذا قالت جاكلين: "لا يوجد في الوقت الحالي نظام ممكنن للتعرف على التنغيم، على غرار الأنظمة الموجودة للتعرف على الكلام، ويعود ذلك إلى أنه يتم تشكيل نغمة القول بواسطة عدد كبير من العوامل التي إلى حد ما لا يمكن التنبؤ بها."[٢]، ومن هذه الوظائف:

أ- الوظيفة المعجمية:

ترى جاكلين أن الكلمة التي في المعجم تملك دلالات مختلفة، حسب طريقة تنغيمها؛ فكل تنغيم للكلمة يمنحها معنى يختلف عن معناها في التنغيم الآخر. تقول" التنبير المعجمي مفهوم مجرد. فهو خاصية باطنة للكلمات والمورفيمات، مخزنة في المعجم الذهني... في لغة ذات أنغام معجمية... يحمل مقطعان صوتيان مؤلفان من الفونيمات نفسها معنيين مختلفين، وذلك وفقا لنغم الكلمة ... في لغة ذات نبر معجمي... مثل الإنجليزية أو الألمانية أو الإيطالية أو الروسية، يمكن التمييز بين كلمتين تتضمنان التسلسل نفسه من الفونيمات بواسطة المقطع الصوتي الذي يحمل النبر الأساسي: هكذا، فإن الاسم permitˈ (تصريح، ترخيص) بالإنجليزية يختلف عن كلمة perˈmit (سمح)... نقول إن المقطع المنبور هو موقع مفضل لإرساء المورفيمات التنغيمية"[٣].

---

(١) الصوتيات: ١٢٦.

(٢) المرجع السابق: ١٤١.

(٣) الصوتيات: ١٢٧.

إن التنغيم المعجمي للكلمة (الكلمة في المعجم خارج السياق) يبين ما تملكه الكلمة من قدرات تعبيرية حسب طريقة تنغيمها، لذا حرصتْ كثيرُ من المعاجم على تدوين كلماتها مقرونة بطرق نطقها المتعددة؛ لتتضح المعاني المختلفة التي ينتجها كل نطق لها، حسب هذا التنغيم أو ذاك.

ب- الوظيفة النحوية:

تقوم العلاقة بين التنغيم والنحو على أساس وظيفة تحديدية؛ يقوم بها التنغيم للتمييز بين الجملة النحوية الواحدة، فالنحو قالب تركيبي تُبنى على أساسه الجمل الصحيحة في اللغة، وتنوع التنغيم في الجملة الواحدة يمكنه أن يمنحها معان مختلفة من نفى أو إثبات أو تأكيد. "فالتنغيم، كالتبير المعجمي، فئة مجردة، ... فهو يشير... إلى نظام لغوى متمايز لهيكلة القول (وظيفة تحديدية، يعينها في الوقت نفسه النحو والتداولية) وإلى نظام تعبير عن فوارق في المعنى والمواقف والانفعالات (وظائف سلوكية وانفعالية). ويعكس عدد من المواقف المختلفة مظاهر التنغيم المعقدة. فقراءة الجمل المنعزلة، وحتى الملتبسة منها، تلقى الضوء على (وظيفة التنغيم التحديدية) التي ترتبط بالنحو: ويميل الحد الأكبر إلى التموضع بين الفاعل والفعل"[(١)] يقوم التنغيم بوظيفة تحديدية؛ يصنعها النحو بقواعده المحفورة في ذهن أبناء اللغة، والمحدِّدَة لأركان الجملة ودور تلك الأركان في بناء الجملة. هذا يوضح مدى تأثير التنغيم في صناعة القالب التركيبي للجملة، وكيف يمنحها كل هذه المعاني." كيف تُحدد (صوتية تركيبية) للجملة البسيطة، أي نحو متضمن للعلاقات بين الأبنية الصرفية التركيبية والأبنية العروضية. مهما كانت النظرية النحوية المتوخاة، وإذ ما تركنا جانبا مسألة الأمر والطلب، يمكن أن نعتبر أن الملفوظ يحيل قبل كل شيء، في الفرنسية وفى كل لسان آخر، إلى وضع علاقة إسنادية تقام باعتبارها إثباتا بالإيجاب أو النفي أو عدم إثبات... كثيرا ما يدور الكلام حول الجهة الاستفهامية أو الجهة التصريحية للملفوظ وما بعدها. توسم هذه الجهات باستعمال علامات صرفية

(١) الصوتيات: ١٢٩

وعلامات ترتيب الكلمات والتنغيم، استعمالا يؤلف بينها أو استعمالا مفردا لأحدها، ويمكن للجهة الاستفهامية، في الفرنسية وفى عديد من الألسنة الأخرى، ألا توسم إلا بالتنغيم، وبصفة أدق بتصاعد تناغمي في آخر الملفوظ"[١].

هذا الأمر جعل للتنغيم دورا أساسيا في توجيه دلالة الجملة، مهما كانت الجملة التي ينطق بها بسيطة، وهذا يحدث في كل اللغات. حيث يكون تصاعد التنغيم (تنغيم صاعد) دالا على الاستفهام بصورة عامة. "فإذا نطقت الجملة بتنغيم صاعد، فإنها تدل على الاستفهام مثلا. كما يقوم التنغيم بتمييز المراد من الاستفهام أو السؤال، كأن يكون المراد توبيخا أو تقبيحا أو استنكار.[٢]" فالصيغة التنغيمية منحنى نغمى خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي"[٣] لذا تبدو الوظيفة النحوية للتنغيم"في تحديد الإثبات والنفي في الجملة، فالأمثلة العربية التي وردت للنداء بدون حرف نداء أو أداة الاستفهام، كانت تعتمد على التنغيم للدلالة على هذا المعنى المعين. ويكون وجود التنغيم في هذه الحالة هو المميز الوحيد بين عضوي "الثنائي الأصغر"[٤].

ج ـ الوظيفة التداولية:

وكذلك الجانب التداولي الذي يقوم على الحوار المتداول بين شخصين (متكلم وسامع) يصنعان به دلالة الجملة، فالتداول له دور كبير في الجملة "فيمكن للتقطيع التداولي أن يبدل بعُمق التحديد الناتج من تركيبة الجملة، ذلك أن التداولية تُهيمن في القول، في نهاية الأمر، لأنها ذات طبيعة دلالية كما في الجملة: l'écolier part / à l'école وتسمح قراءة النصوص باكتشاف وجود بنيةٍ تفوق مستوى الجملة، يتم فيها إبراز المعلومات الجديدة،... فدراسة محادثة ما توضح {وظيفة التنغيم الخطابية} في معناها الأوسع: إذ تساعد النغمية في تمييز المعلومات التي

(١) المعجم الموسوعي الجديد فى علوم اللغة: ٣٤٥

(٢) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث: ٢٣٤

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٦.

(٤) دراسة الصوت اللغوى: ٣١٥.

سبق وتبادلها المتكلم والسامع عن المعلومات الجديدة[١]. كما أنها تساعد في إدارة أدوار الكلام؛ فهي تشير إلى أن الجزم في قول ما نهائيٌّ أو أن هذا القول ينتظر أن يؤكده المحاور: إذ يمكن لـ {لا} (non) أن تشير إلى رفض قاطع، أو أن توحي إلى إمكانية مناقشة الرفض. وأحيانا يمكن لـ {لا} أن تعنى {نعم}."[٢]

د ـ الوظيفة الانفعالية:

يمكن أن يُحْدِثَ التنغيمُ بتأثير انفعال ما؛ تغيرا دلاليا في الجملة "يمكن لنا في الفرنسية وفى كل لسان آخر، أن نعبر عن موقف بوسائل معجمية كما هو الشأن في الملفوظ، للتأثير فيك؛ ولأحقق رغبتي سأقول لك (إنني جائع) أود أن أحصل على شيء آكله بفضل منك توّا. لكن ربما يكفى في الكلام، أن أتلفظ قائلا: إني جائع، تلفظا له منحنى تنغيمي معين. يمكن للتأثير في الغير والتعبير عن انفعال أن يُشار إليهما باستعمال عناصر معجمية تركيبية مصحوبة أو غير مصحوبة بتغير عروضي ناشئ عن الثقل الدلالي للكلمات المستعملة لكن يمكن للمؤثرات العروضية وحدها أن تكفي للقيام بهذه الوظائف ، فالأمر يتعلق فعلا بالدلالة على صعيد المواقف المؤداة بواسطة التنغيم"[٣] إن قدرتنا التعبيرية عن الانفعالات المختلفة التي صنعها فينا التنغيم تساعدنا على فهم حوارات كثيرة تدور بين أشخاص كثيرة؛ فنستنتج منها معانٍ، ويمكننا ملاحظة ذلك في حوارات الواقعة.

يلح إ.فوناغى على أنه يمكن تمييز التعبير عن الانفعالات من التعبير عن المواقف بواسطة اختلاف الاستعمال للمقاييس الصوتية. تستعمل الانفعالات البدائية كالفرح والغضب والحزن مقاييس غير المقاييس العروضية البحت مثل تهميس المجهور والضغط الحلقيّ أو التأنيف، يمكن أن نقول إن المتكلم يعبر، في هذه

---

(١) يعرف فى التداولية بالافتراض السابق." يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس مما يفترض سلفا أنه معلوم له. انظر "الإشهار القرآنى"د.عطية سليمان،كاديمية الكتاب١٧٥.

(٢) الصوتيات: ١٣٠.

(٣) المعجم الموسوعى الجديد في علوم اللغة: ٣٤٦

الحالة، عن انفعال ليتخلص منه دون أن ينتظر حتما من المخاطب جوابا، وخلافا لذلك فإن المتكلم يستعمل، في التعبير عن موقف مثل السخرية الخفية أو عدم التصديق، استعمالا متواضعا عليه في لسان معين، مقاييس عروضية أساسا؛ فهو ينتظر رد فعل من مخاطبه الذي يعنى بالرسالة، فالأمر يتمثل فعلا في تجسيم الوظيفة الندائية"[١].

هـ- الوظيفة الأسلوبية:

"اقترح بيارلايون نسقية صوتية تُسمى صوتية أسلوبية، يمكن في ما يخص الفرنسية، أن تلخص كما يلي:

إن المؤشرات الدالة هي التالية: متوسط المستوى التناغمى (سجل)/العدول التناغمي، / صورة الشكل التناغمي (الذي يمكن أن يتضمن التناغمية، والوجه الزمنى للمتغيرات التناغمية)/ متوسط الشدة الكلية/ عدولات الشدة/ الوقف/ مدة الملفوظ . إن التغير المنتظم لهذه المؤشرات، انطلاقا من قيمة مرجعة مستخرجة من الإنتاج المعتبر [محايدا] للملفوظ عادى تتسبب في تغيير يطرأ على تأويل السلوك الانفعالي. يمكن لملفوظ مثل: اشترى الطلبة موسوعة اللغة، أن يحيل إلى مواقف مختلفة للمتكلم حسب التنغيم المستعمل"[٢].

إن الأسلوبية التي يعنيها هنا هي أسلوبية الموضوع؛ حيث لكل موضوع خصائصه الصوتية الأسلوبية، الناتجة عن الانفعال المصاحب له، "هكذا يتميز الفرح والسخرية الخفية، بتغير إيجابي لكل المؤشرات ... ويتسم الإعجاب بتغير إيجابي لكل المؤشرات ... ويتسم الغضب بتنقيص مدة الملفوظ دون تغير في العدول التناغمي... "[٣]

وهناك أسلوبية تخص المتكلم نفسه؛ كتميزه بخصائص تنغيمية تخص

---

(١) المعجم الموسوعى الجديد في علوم اللغة: ٣٤٧

(٢) المرجع السابق: ٣٤٧.

(٣) المرجع السابق: ٣٤٧.

صوته هو دون سواه. كما لدى أصحاب المهن الكلامية " فيمكن أن يكون لبعض الخيارات التنغيمية ذات الطبيعة الأسلوبية ارتداد على مكونات أخرى نغمية: وهكذا غالبا ما يستخدم الخطباء في اللغة الفرنسية (مقدمو البرامج، أو رجال السياسة، أو الأساتذة) تنبيرا ابتدائيا... ويكثرون من استخدام نبرات الإلحاح الذي يهدف إلى إظهار إشراك المتحدث شخصيا في خطابه... بالإضافة إلى الخيارات الأسلوبية: كوقف الإلحاح (وقف أمام الكلمة المراد إظهارها). والوقف بين الأقوال. أثبتت دراسات دويز على اللغة الفرنسية أن رجال السياسة يقفون أكثر أثناء الكلام ولمدة أطول ما أن يتم انتخابهم"[١]

و ـ الوظيفة غير تمييزية للتنغيم:

هناك وظائف أخرى للتنغيم ترتبط بطبيعة اللغة المعينة ولا ترتبط بشخص المتكلم ولا بطبيعة الموضوع، فنجد "معظم أمثلة التنغيم في العربية (ولهجاتها) من النوع غير التمييزي الذي يعكس إما خاصية لهجية، أو عادة نطقية للأفراد، ولذا فإن تقعيده أمر يكاد يكون مستحيلا. فكل المحاولات التي قدمت حتى الآن لدراسة التنغيم في اللغة العربية قامت على اختيار مستوى معين من النطق وعلى اختيار نغمات الصوت بالنسبة لفرد معين داخل هذا المستوى. ولكن التنوع بين الأفراد في هذه الناحية يحول بين الباحث وبين تعميم النتائج. وأكثر ما يستخدم التنغيم في اللغات للدلالة على المعاني الإضافية، كالتأكيد والانفعال والدهشة والغضب...إلخ"[٢].

ز ـ علامات الترقيم:

ويرى د. تمام حسان وظيفة أخرى للتنغيم، يقول: "يقوم التنغيم في الكلام بوظيفة الترقيم في الكتابة غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة. وربما كان ذلك لأن ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر مما

(١) الصوتيات: ١٤٣.

(٢) دراسة الصوت اللغوى: ٣١٥

يستعمله الترقيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التأثير وربما كان ذلك لسبب آخر[١].

وقد قال بذلك من بعد أستاذنا د. تمام حسان كلود هاجيج " إن العديد من الأقوال، إذ لم نلق بالا إلي تنغيمها، وإذا ما عزلناها بشكل مصطنع، ستبدو لنا غير صحيحة نحويا :?lui,venir [آت، هو] مع تنغيم صاعد بسرعة نحو المستوى بالغ الحدة(والذي توحي به بشكل غير دقيق علامات الترقيم) تعنى، من بين ما تعنيه، كيف لنا أن نعتقد أنه لن يأتي أبداً؟[٢]" وهنا نجده يتفق مع د. تمام في أن التنغيم أكثر دقة في الدلالة علي المعنى من علامة الترقيم.

٢ـ٣ أنوع التنغيم:

تمتلك اللغات الإنسانية أنواعا من النغمات، تستخدمها في كلامها المنطوق هي:

١- النغمة المستوية (العادية) وهى النغمة التي توجد في عدد من مقاطع الكلمة بدرجة واحدة، ...

٢- النغمة الصاعدة: وهى تعنى وجود درجة منخفضة في مقطع واحد أو أكثر، تليها درجة أكثر علوا منها وقد تكون النغمة الصاعدة مركبة من نغمة منخفضة تليها نغمة متوسطة، وقد تكون مركبة من نغمة متوسطة، تليها نغمة عالية. (وتكون في حالات: الأمر ـ التعجب ـ التناقص).

٣- النغمة الهابطة: وهى تكون مع درجة عالية في مقطع أو أكثر، عليها درجة أكثر انخفاضا منها، وقد تكون النغمة الهابطة مركبة من نغمة متوسطة الدرجة تليها نغمة منخفضة، كما قد تكون مركبة من نغمة عالية الدرجة تليها نغمة متوسطة[٣]."

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٧

(٢) بنية الألسن: ٤٩

(٣) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث: ٢٣٢.

٢ـ٤ نوع التنغيم يحدد معنى العبارة:

يمكن وصف النظام التنغيمي للغة العربية بواسطة تقسيمه من وجهتي نظر مختلفين: إحداهما: شكل نغمة آخر مقطع وقع عليه النبر في الكلام.

والثانية: هي المدى الذي بين أعلى نغمة وأخفضها في الصوت سعة وضيقا. فأما من حيث وجهة النظر الأولى، فينقسم نظام تنغيم الفصحى إلى لحنين: الأول: ينتهي بنغمة هابطة على آخر مقطع وقع عليه النبر والثاني: ينتهي بنغمة صاعدة على المقطع المذكور. وأما من حيث وجهة النظر الثانية فينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: الواسع، والمتوسط، والضيق. ومن جميع هذه الاعتبارات معا نرى أن اللحن العربي للكلام يمكن أن يكون على أحد النماذج التنغيمية الستة الآتية:

الأول: الواسع. الثاني: الواسع.

الأول: المتوسط. الثاني: المتوسط.

الأول: الضيق. الثاني: الضيق.

[ربط وصف التنغيم بمعناه]

١ـ الواسع: ما كان نتيجة إثارة أقوى للأوتار الصوتية بواسطة الهواء المندفع من الرئتين، فيسبب ذلك اهتزازا أكبر للأوتار الصوتية ومن ثم يعلو الصوت. ومن أمثلة استعماله الخطابة والتدريس ... والصياح الغاضب ونحو ذلك.

٢ـ المتوسط: يستعمل للمحادثات العادية، وهو أقل تطلبا لكمية الهواء وما يصحبها من علو الصوت.

٣ـ الضيق: فهو المستعمل في العبارات اليائسة الحزينة وفى الكلام بين شخصين يحاولان ألا يسمعهما ثالث... فالسعة والتوسط والضيق تتصل باصطلاحات علو الصوت وانخفاضه هنا.

أما الاصطلاحان: الأول والثاني فلا يصفان إلا نغمة آخر مقطع وقع عليه النبر في الجملة من الكلام؛ فإذا كان هذا المقطع منحدرا من أعلى إلى أسفل فذلك هو الشكل الأول للحن العربي، وإن كان صاعدا من أسفل إلى أعلى فهو الشكل الثاني، ومع أن الشكل الأول هو المستعمل في الإثبات والنفي والشرط والدعاء وجميع الجمل حتى إنه ليشارك الثاني في مجاله وهو الاستفهام والعرض

فيشمل الاستفهام بالظروف نحوها دون الأداتين (هل والهمزة) نرى الشكل الثاني قاصرا على الاستفهام بالأداتين فقط وهو النوع الوحيد من أنواع الاستفهام الذي ينتهي بنغمة صاعدة."[١]

إن كلام د.تمام حسان يبين ارتباط نوع التنغيم بمعنى العبارة؛ فيتنوع بين تنغيم صاعد وهابط، وتتنوع معه المعاني كما ذكر آنفا.

التنغيم المستوي عند د. تمام:

"إذا وقف المتكلم قبل تمام المعنى؛ وقف على نغمة مسطحة لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة، ومن أمثلة ذلك الوقف عند كل فاصلة مكتوبة في الآيات الآتية: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [القيامة: ٧ -١٠] فالوقف على البصر والقمر أولا، والقمر ثانيا، وقف على معنى لم يتم؛ فتظل نغمة الكلام مسطحة دون صعود أو هبوط، أما الوقف عند المفر فالنغمة فيه هابطة ؛ لأنه وقف عند تمام معنى الاستفهام بغير الأداة أي استفهام بالظرف."[٢] ونرى حدوث ذلك بكثرة عند تحليلنا لسورة الواقعة .

{ الهيكل التنغيمي }

يقترح I.Fonagy مصطلح cliché mélodique (قالب تناغميٌّ) لوصف تشكيلات عروضية مستقلة ممثلة لخصائص الكلام في مختلف المستويات الخطابية أو التداولية أو السياقية"[٣] فيجعل لكل لغة مجموعة من القوالب التنغيمية محفوظة في ذاكرة أبناء هذه اللغة، هذه القوالب التناغمية تعطى تصورا للبناء الصوتي في تلك اللغة؛ صنعه التنغيم في الحوارات الخطابية أو التداولية أو السياقية؛ يتكرر في تلك اللغة باستمرار، مما يجعل الكلام مفهوما على الرغم من عدم وضوح بعض أصوات العبارة أحيانا، لهذا يقترح I.Fonagy هذا المصطلح ليصف به الأنماط

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣١.

(٣) المعجم الموسوعى الجديد في علوم اللغة: ٣٤٩.

المختلفة للكلام في هذه اللغة على مختلف مستويات التعبير فيها. فإذا سمعنا جزاءً من هذا القالب التناغمي أمكننا استكماله مما في ذاكرتنا من صورة كاملة لهذا القالب التناغمي لذا كان من السهل علينا فهم حديث الأصم الأبكم على الرغم من أنه لم ينطق بلفظة واحدة، بل نطق بأصوات يُفهم منها أنه يسأل أو يسخر أو ...، هذا لأننا كأبناء تلك اللغة لدينا قوالب أو هياكل تنغيمية محفوظة في الذاكرة للعبارة الاستفهامية والاستنكارية والسخرية؛ فنفهم كلامه، وإن لم ينطق بلفظة واحدة في كلامه كله، وقد استعانت الدراسات الحديثة في معاملها الصوتية بالأصوات التنغيمية التي يصدرها الأصم لفهم كلامه.

هنا تبدو قيمة القوالب التنغيمية في فهم الكلام الناقص "فإن التنظيم الإيقاعي والتنغيمي المحكم يؤدى إلى فهم حسن، حتى ولو لم يكن إنجاز القطع مرضيا بكل مكوناته، وهذا ما يعرفه جيدا من ... يهتمون بإنجاز وإدراك كلام الصم، أو الأشخاص الذين يتحكمون في التصويت تحكما رديئا"[(١)] فهؤلاء الأشخاص خاصة الصم يتم التفاهم معهم عن طريق الهياكل التنغيمية التي تصدر عنهم، التي يفهم منها السامع مقصدهم على الرغم من خلوها من أي لفظ منطوق.

وقد أشار د.تمام حسان قبله إلى قيمة الهيكل التنغيمي في بيان معنى العبارة؛ فجعله ضمن قرائن التعليق اللفظية في السياق التي تميز معاني الجمل؛ بناءً على القالب التنغيمي الذي ترد فيه، فجعل لكل سياق قالبا تناغميا يميزه "فالتنغيم هو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق. نحب هنا أن نعقد شبها بين هذه الصيغ الصرفية التي للكلمات وبين صيغ أخرى تنغيمية تتصل بالمعاني النحوية التي للجملة لا للباب المفرد فالجملة العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة. فالهيكل التنغيمي الذي تأتى به الجملة الاستفهامية، وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات، وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة. فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة؛ فاؤها وعينها ولامها وزوائدها وملحقاتها نغمات معينة بعضها مرتفع وبعضها منخفض وبعضها يتفق مع النبر

(١) المعجم الموسوعى الجديد في علوم اللغة: ٣٤٥.

وبعضها لا يتفق معه، وبعضها صاعد من مستوى أسفل وبعضها هابط من مستوى أعلى فالصيغة التنغيمية منحنى نغمى خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي. كما أعانت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرفي للمثال[١]"

إن الهيكل التنغيمي الذي يشير إليه د. تمام يُعدُّ وسيلة يتوصل بها السامع لفهم رسالة المتكلم لولاه ما تحقق هذا التواصل بينهما، فالسامع لا تصل لأذنه رسالة المتكلم بكل أصواتها، لكن يصله الهيكل التنغيمي الخاص بها. فيقوم بحل شفرتها الصوتية؛ بمقابلتها بما في ذهنه من رسائل صوتية مماثلة محفوظة لديه ضمن البناء الصوتي للغته الأم؛ ومن خلال المقارنة بينهما يتضح معنى الرسالة؛ لوجود ما يشبهها في مخزونه الذهني، فيستدعيه ليسد به الشواغر الصوتية المختلفة التي في الرسالة؛ فقد استنتجها من القالب التنغيمي الذي لديه.

ويمكننا على ضوء هذه الفكرة أن صنع هيكلا تنغيميا لبعض آيات سورة الواقعة التي نرى بينها تطابقا صوتيا؛ يمكن أن يكوّن لنا إيقاعا متماثلا متكررا في كل آية من تلك الآيات التي جاءت في الهيكل التنغيمي نفسه.

كيفية صنع الهيكل التنغيمي:

في إطار معالجة قضية الهيكل التنغيمي ومدى صحة هذه الحقيقة الصوتية من خلال آيات سورة الواقعة كموضوع دراستنا؛ فإننا نحاول هنا بناء هيكل تنغيمي للآيات التي تتوافق صوتيا في سورة الواقعة؛ لهذا علينا عمل الآتي:

أولا: تحديد الآيات مع تلخيص أقوال المفسرين عن معناها الأساسي والإضافي.

ثانيا: مقابلة البناء الصوتي للآيات؛ بوضعها تحت بعض لبيان اختلافها ـ اتفاقها وتتمثل عناصر التوافق والاختلاف الصوتي في الآيات في الجوانب الآتية:

١ـ الحروف . ٢ ـ المقاطع: أنواعها وعددها وترتيبها. ٣ـ النبر. ٤ـ التنغيم.

فيصنع هذا التوافق في تلك العناصر الصوتية هيكلا تنغيميا متكررا في الآيات:

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٦.

ولهذا يجب علينا تحديد هذه النقاط في كل آية وهي:

أ ـ نوع التنغيم بالفاصلة: صاعد أو هابط.

ب ـ تحديد موضع النبر بفاصلة الآية، ومقابلته بموضع النبر في سائر الآيات.

ج ـ المعاني التي صنعها التنغيم وما ذكره المفسرون من معان أخرى للآيات.

ثالثا: عرض تصور لهيكل تنغيمي لتلك المجموعة يشمل كل الآيات نبينُ فيه:

١ـ العناصر الصوتية التوافقية التي صنعها هذا الهيكل التنغيمي في الآيات.

٢ـ بيان مواضع تلك العناصر بكل آية، ومقابلتها بأختها في الآيات الأخرى .

٣ـ بيان نقاط الخلاف بين بعض الآيات التي توضح تميزها الصوتي عن أختها.

مثال قرآني من سورة الواقعة:

يمكن معرفة صحة هذه الفكرة من خلال عقد مقارنة بين آيات تحمل هيكلا تنغيميا واحدا يتكرر في كل آية منها؛ وملاحظة عناصر التوافق الصوتي التي توجد في هذه الآيات، التي صنعت هيكلها التنغيمي، لنقول في نهاية الدراسة: إن الهيكل التنغيمي لهذه الآيات بكل خصائصه الصوتية؛ قادرٌ عند ذكره على استدعاء الآيات التي تماثله، وترتبط صوتيا بهيكله التنغيمي، وتنتمي إليه.

يمكننا تطبيق هذه الفكرة من خلال مجموعتين من الآيات في سورة الواقعة:

المجموعة الأولى: قوله تعالى: ﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾

في مقابل قوله: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ ﴾

المجموعة الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾

في مقابل قوله: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾

المجموعة الأولى (الآيات: ٨-٩)

نحاول تطبيق المقترح السابق بإنشاء الهيكل التنغيمي لهذه المجموعة المكونة من الآيتين (٩٨) من سورة الواقعة؛ وهما آيتان متتاليتان مما يجعل الشعور بتطابقهما الصوتي واضحا، حيث نسمع في الآية الأولى هيكلا تنغيميا، ثم نجده يتكرر في الآية التالية لها، كأننا نكرر نطق الهيكل التنغيمي للآية الأولى.

أولا: أقوال المفسرين

١ـ القرطبي:

المعنى الأساسي:

"فأصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار؛... والمشأمة الميسرة، وكذلك الشأمة... وقال زيد بن أسلم: أصحاب الميمنة هم الذين أخذوا من شق آدم الأيمن يومئذ، وأصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر[١].

المعنى الإضافي:

ذكر أن: "التكرير في ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة للتفخيم والتعجيب، كقوله: الحاقة ما الحاقة و القارعة ما القارعة كما يقال: زيد، ما زيد! وفي حديث أم زرع رضي الله عنها: مالك وما مالك ! والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب ولأصحاب المشأمة من العقاب."[٢]

٢ـ الرازي:

المعنى الإضافي:

تناول الرازي المعاني الإضافية لهاتين الآيتين بتفصيل أكبر أظهر علم الرجل،

(١) تفسير القرطبي: ج٩ ص٦٣٦٨

(٢) تفسير القرطبي: ج٩ ص٦٣٦٨

وقدرته على التحليل الدلالي والغوص في أعماق المعنى، فقال "ما معنى قوله: { مَا أصحاب الميمنة} ؟ نقول: هو ضرب من البلاغة وتقريره هو أن يشرع المتكلم في بيان أمر ثم يسكت عن الكلام ويشير إلى أن السامع لا يقدر على سماعه كما يقول القائل لغيره: أخبرك بما جرى عليَّ ثم يقول هناك هو مجيباً لنفسه لا أخاف أن يحزنك وكما يقول القائل: من يعرف فلاناً فيكون أبلغ من أن يصفه ، لأن السامع إذا سمع وصفه يقول: هذا نهاية ما هو عليه، فإذا قال: من يعرف فلاناً بفرض السامع من نفسه شيئاً ، ثم يقول: فلان عند هذا المخبر أعظم مما فرضته وأنبه مما علمت منه.

المسألة السادسة: ما إعرابه ومنه يعرف معناه؟ نقول: { فأصحاب الميمنة } مبتدأ أراد المتكلم أن يذكر خبره فرجع عن ذكره وتركه وقوله: { مَا أصحاب الميمنة } جملة استفهامية على معنى التعجب كما تقول: لمدعي العلم ما معنى كذا مستفهماً ممتحناً زاعماً أنه لا يعرف الجواب حتى إنك تحب وتشتهي ألا يجيب عن سؤالك ولو أجاب لكرهته لأن كلامك مفهوم كأنك تقول: إنك لا تعرف الجواب ، إذا عرفت هذا فكأن المتكلم في أول الأمر مخبراً ثم لم يخبر بشيء لأن في الأخبار تطويلا ثم لم يسكت وقال ذلك ممتحناً زاعماً أنك لا تعرف كنهه ، وذلك لأن من يشرع في كلام ويذكر المبتدأ ثم يسكت عن الخبر قد يكون ذلك السكوت لحصول علمه بأن المخاطب قد علم الخبر من غير ذكر الخبر ، كما أن قائلا: إذا أراد أن يخبر غيره بأن زيداً وصل ، وقال: إن زيداً ثم قبل قوله: جاء وقع بصره على زيد ورآه جالساً عنده يسكت ولا يقول جاء لخروج الكلام عن الفائدة وقد يسكت عن ذكر الخبر من أول الأمر لعلمه بأن المبتدأ وحده يكفي لمن قال: من جاء فإنه إن قال: زيد يكون جواباً وكثيراً ما نقول: زيد ولا نقول: جاء ، وقد يكون السكوت عن الخبر إشارة إلى طول القصة كقول القائل: الغضبان من زيد ويسكت ثم يقول: ماذا أقول عنه. إذا علم هذا فنقول لما قال: { فأصحاب الميمنة } كان كأنه يريد أن يأتي بالخبر فسكت عنه ثم قال في نفسه: إن السكوت قد يوهم أنه لظهور حال الخبر كما يسكت على زيد في جواب من جاء فقال: { مَا أصحاب الميمنة } ممتحناً زاعماً أنه لا يفهم

ليكون ذلك دليلا على أن سكوته على المبتدأ لم يكن لظهور الأمر بل لخفائه وغرابته ، وهذا وجه بليغ ، وفيه وجه ظاهر وهو أن يقال: معناه أنه جملة واحدة استفهامية كأنه قال: وأصحاب الميمنة ما هم؟ على سبيل الاستفهام غير أنه أقام المظهر مقام المضمر وقال: { فأصحاب الميمنة مَا أصحاب الميمنة } والإتيان بالمظهر إشارة إلى تعظيم أمرهم حيث ذكرهم ظاهراً مرتين وكذلك القول في قوله تعالى: { وأصحاب المشأمة مَا أصحاب المشأمة } وكذلك في قوله: {الحاقة ❖ مَا الحاقة} [الحاقة: ٢ ، ١] وفي قوله: { القارعة ❖ مَا القارعة } [القارعة: ٢ ، ١]." (١)

خلاصة رأى الشيخين:

المعنى الأصلي: أصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. العبارة استفهامية.

المعنى الإضافي: ذكر المفسران معان إضافية كثيرة للآيتين، منها ما ذكره القرطبي من أن التكرار جاء لغرض التفخيم والتعجب، والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب ولأصحاب المشأمة من العقاب. وما ذكره الرازي من أسباب للسكوت عن إجابة هذا السؤال؛ فعلل ذلك بما طرحه من معان إضافية استلهمها من النص، منها أن السكوت كان:

١. لعظمة ما ستكون عليه الإجابة. ٢. لغرض التعجب. ٣. للعلم بالإجابة. ٤. خشية التطويل. ٥. لظهوره ومعرفة حاله. ٦. لخفاء الإجابة وغرابتها. ٧. لغرض الاستفهام عنهم فقط ، تعظيما لهم.

ثانيا. عناصر التوافق الصوتي في الآيتين:

أ- على مستوى الكلمات:

﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ ﴾

(١) التفسير الكبير للرازي "مفاتيح الغيب": المجلد ١٥، ج ٢٩، ص١٤١.

لا نجد اختلافا بين كلمات الآيتين سوى كلمة (الميمنة) في مقابل (المشأمة) وهما متضادان في المعنى؛ وعلى الرغم من ذلك فهما متطابقتان صوتيا في: الوزن الصرفي والمقاطع الصوتية {عددها ونوعها وترتيبها} مواضع نبرهما .

ب- على مستوى المقاطع:

جاءت المقاطع في الآية الأولى على هذه الصورة:

الأولى: ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص.

والثانية: ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص.

نرى الآيتين متطابقتين في مقاطعهما { عددها ونوعها وترتيبها} .

ج- على مستوى مواضع النبر فيهما:

الآية الأولى: فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ

النبر الأولى: أصحاب: حا: ص ح ٰح الميمنة: مَىْ: ص ح ٰص، يتكرر مرتين.

نبر ثانوي: أصحاب: أص: ص ح ُص، الميمنة: بُلْ: ص ح ُص، يتكرر مرتين.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {بُ اَلْ } فغيره إلى (بُلْ) بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص} إلى {ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الثانية: وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ

النبر الأولى: أصحاب: حا: ص ح ٰح ، المشأمة: مَشْ: ص ح ٰص.

نبر ثانوي: أصحاب: أَصْ: ص ح ُص، المشأمة: بُلْ: ص ح ُص.

نبر السياق: وقع نبر السياق في الآية على قوله {بُ اَلْ } فغيره إلى (بُلْ) بأن: حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص} إلى {ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

وقع النبر في الآيتين في المواضع نفسها؛ مما أحدث الأثر الصوتي نفسه، نحو:

أ) أصحاب نجد النبر الأوليِّ على المقطع الثاني(حا) والنبر الثانوي على المقطع

الأول (أص)، وقد تكررت هذه الكلمة (أصحاب) أربع مرات في الآيتين.

ب) أما في الكلمتين (الميمنة- المشأمة) فيأتي النبر الأولى على المقطعين (مي - مش) وهما من نوع واحد (ص ح ص) وهو أكبر المقاطع في الآيتين، وكذلك النبر الثانوي فقد جاء بالكلمتين في موضع واحد، على آخر أصحاب وأول الكلمتين (الميمنة والمشأمة) فينتج لنا المقطع (بُلْ: ص ح ص) في الكلمتين.

د ـ على مستوى التنغيم:

التنغيم ـ كما ذكرت آنفا ـ هو تغيير في درجة الصوت؛ لغاية بنفس المتكلم ليُحمِّل العبارة معان إضافية نتيجة هذا التغيير، ويظهر هذا في موضع النبر في المقاطع المنبورة في الفاصلة؛ يحدد ذلك نوع التنغيم {صاعد. هابط. مستوى} لهذا يجب علينا عند وضع الهيكل التنغيمي لها أن نعرف مواضع النبر ونوعه، ونوع المقطع المنبور في الفاصلة.

فنجد أن الآيتين تطابقتا في مقاطعهما ومواضع نبرهما؛ لهذا يمكننا وضع هذا الهيكل التنغيمي لهما الذي يوضح نوع المقاطع وترتيبها ومواضع نبرهما وهو:

{ ص ح/ص ح ٰص/ص ح ٖح /ص ح ٰص/ص ح ٖص/ص ح/ص ح / ص ح ٖ ح/ص ح ٰص/ص ح ٖح /ص ح ٰص/ص ح ٖص/ص ح/ص ح ص.}

نوع التنغيم:

وقع التنغيم على المقطع المنبور بفاصلة الآيتين، وهو المقطع الثالث حين نعد من آخر الكلمة، فكان في الآية الأولى بكلمة (الميمنة: مَىْ: ص ح ٖص)، وكان في الآية الثانية بكلمة (المشأمة: مَشْ: ص ح ٖص).وهو تنغيم **صاعد** لأن العبارة استفهامية. فأنتج هذا الاستفهام بعض المعاني الإضافية التي ذكرها المفسرون.

وهذا يجعلنا نقرأ الآيتين بهيكل تنغيمي واحد، فتكون طريقة الأداء واحدة فيهما.

لا نجد اختلافا بين الآيتين صوتيا في مواضع النبر أو المقاطع نوعها وترتيبها.

المجموعة الثانية: الآية (٢٧) والآية (٤١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٧]

في مقابل قوله: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الواقعة: ٤١]

نحاول الوصول هنا للهيكل التنغيمي لهذه المجموعة، وقد تكرر هذا الهيكل في آيتين غير متتاليتين، فنرى كيف أثر الهيكل التنغيمي الخاص بالآية الأولى على آية تبعد عنها بأربع عشرة آية، فعلى الرغم من تباعدهما إلا أنهما اتفقتا في هيكلهما التنغيمي (كما سنرى) فالآية الأولى رقم (٢٧) والثانية رقم (٤١).

أولا: أقوال المفسرين (القرطبي):

المعنى الأساسي: أصحاب اليمين.

قوله تعالى: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين رجع إلى ذكر منازل أصحاب الميمنة وهم السابقون على ما تقدم، والتكرير لتعظيم شأن النعيم الذي هم فيه...

أصحاب الشمال: "ذكر منازل أهل النار وسماهم أصحاب الشمال ، لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم , ثم عظم ذكرهم في البلاء والعذاب فقال: " ما أصحاب الشمال[1].

المعنى الإضافي: التكرار لتعظيم شأن المؤمنين، والتكرار مع أصحاب الشمال لتعظيم البلاء .

ثانيا: عناصر التوافق الصوتي في الآيتين:

أ- على مستوى الكلمات:

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٧]

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الواقعة: ٤١]

---

(١) تفسير القرطبي: ٦٣٨٢.

لا نجد اختلافا بين كلمات الآيتين سوى كلمة (اليمين) في مقابل (الشمال) وهما متضادان في المعنى؛ وعلى الرغم من ذلك فهما متطابقتان صوتيا في: الوزن الصرفي والمقاطع الصوتية {عددها ونوعها وترتيبها} مواضع النبر.

ب- على مستوى المقاطع:

مقاطع الآية الأولى: ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح / ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

مقاطع الآية الثانية: ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح / ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص.

نرى الآيتين متطابقتين في مقاطعهما { عددها ونوعها وترتيبها}.

ج- على مستوى مواضع النبر:

الآية الأولى: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٧]

نبرأولى: أصحاب: حا: ص ح' ح اليمين: مى: ص ح' ح اليمين: مين: ص ح' ح ص

نبرثانوي: أصحاب: أَصْ: ص ح ْص اليمين: ال: ص ح ْص اليمين: ال: ص ح ْ ص

نبر السياق: وقع نبر السياق على {بُ الْ} فغيره لـ {بُلْ} بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح + ص ح ص } إلى {ص ح ص } بإسقاط همزة الوصل، وبقاء لام التعريف لأنها لام قمرية.

الآية الثانية: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الواقعة: ٤١]

نبر أولى: أصحاب: حا: ص ح' ح، الشمال: ما: ص ح' ح، الشمال: مال: ص ح' ح ص.

نبر ثانوي: أصحاب: أص: ص ح ْص، الشمال: اَش: ص ح ْص.

نبر السياق: وقع في الآية الثانية على قوله {بُ اَلْش } فغيره إلى (بُشْ) بأن:

حول تركيبه المقطعي من {ص ح+ ص ح ص+ص ح} إلى {ص ح ص} بسبب إسقاط همزة الوصل، و لام التعريف لأنها لام شمسية.

وقع النبر في الآيتين في المواضع نفسها؛ مما أحدث الأثر الصوتي نفسه، نحو:

أ) أصحاب نجد النبر الأولى على المقطع الثاني(حا) والنبر الثانوي على المقطع الأول (أص)، وقد تكررت هذه الكلمة (أصحاب) أربع مرات في الآيتين.

ب) أما في الكلمتين (اليمين- الشمال) فيأتي النبر الأولى على المقطع (مي) في "اليمين" الأولى، وهى من النوع ص ح ْص، وأما"اليمين" الثانية وهى كلمة الفاصلة، فيقع النبر فيها على المقطع (مين) وهو من النوع ص ح ْح ص.

في "الشمال" الأولى يقع النبر على المقطع (ما) وهو من النوع ص ح ْص، أما في الشمال الثانية، وهى كلمة الفاصلة؛ فيقع النبر فيها على المقطع(مال)، وهو من نوع ص ح ْح ص.

نبر السياق: وقع على أول كلمتي (اليمين الأولى، والشمال الأولى) مع آخر كلمة أصحاب (ب)؛ فأنتج لنا المقطع (بل: ص ح ص) مع كلمة اليمين والمقطع (بش: ص ح ص) مع كلمة الشمال.

د ـ على مستوى التنغيم:

فنجد أن الآيتين تطابقتا في مقاطعهما ومواضع نبرهما، كذلك صيغة الاستفهام التي تُدخل العبارة ضمن الإنشاء وليس الإخبار، وأداة الاستفهام فيهما واحدة (ما)؛ لهذا يمكننا وضع هذا الهيكل التنغيمي لهما الذي يوضح نوع المقاطع وترتيبها ومواضع نبرهما وهو:

{ص ح/ص ح ْص/ص ح ْح /ص ح ْص/ص ح/ص ح ْح/ ص ح/ص ح ح/ ص ح ْص/ص ح ْح /ص ح ْص/ص ح/ص ح ْح ص} .

نوع التنغيم:

التنغيم صاعد حيث وقع على المقطع الأخير المنبور بفاصلة الآيتين وهو (مينْ: ص ح ْح ص ـ مال: ص ح ْح ص) ذلك لأن العبارة استفهامية؛ فأضافت معان.

المعاني الإضافية:

أضاف الاستفهام إلى الآيتين معان كثيرة؛ لم يذكرها المفسرون، منها:

أ. يمكن أن نفهم من مد المقطع المنبور في آخر الآيتين (مين، مال: ص ح ْح ص) حجم الوعد والوعيد في الآيتين، نتيجة طول هذا المقطع.

ب ـ يعطى المد الطويل معنى السؤال مع تجهيل المسئول عنه؛ مما يدفع السامع للبحث عن المسئول عنه؛ فيثير انتباهه ليستقبل صفاته، حيث يلي هذا السؤال

صفات هذه الجماعة، كأن الآيات التالية هي إجابة عن ذلك السؤال. ولا نجد هذا في المجموعة الأولى؛ لأنه هناك في مقام ذكر أقسام الناس يوم القيامة.

ج- نجد المد هنا في مقطع طويل منبور، وهو موضع التنغيم في آخر الآيتين؛ حيث يبين المد الطويل شدة حاجة السائل إلى الإجابة السريعة فتأتى الإجابة في الآيات التي تلي السؤالين مباشرة، فكان من الضروري أن يكون النبر والتنغيم على مقطع مديد مغلق؛ فهو المقطع الوحيد من مقاطع العربية الذي يحتوى على حركة طويلة في وسطه ؛ ويمكن للقارئ أن يُشْبع هذه الحركة الطويل أكثر من غيرها، فيبدو التنغيم الصاعد واضحا مع طول النفس، ونهايته في هذا المقطع.

مقارنة بين الهيكل التنغيمي في المجموعتين:

لو أنَّنا قارنَّا بين سؤالي المجموعة الثانية وسؤالي المجموعة الأولى؛ فنجد أن:

١- النبر والتنغيم أتيا في سؤالي المجموعة الأولى على المقطع الثالث حين نعد من الآخر في الفاصلة، وهو مقطع طويل مغلق حركته قصيرة (ص ح ْص)، فيكون التنغيم أقل شدة وضغطا على القفص الصدري؛ ذلك لوجوده على هذا المقطع المتوسط، وأن هذا المقطع حركته قصيرة، فلا يمكن أن نمد النفس معه وكذلك لأنه بوسط الكلمة، عكس ما في الثانية، فمقطعها مديد وحركتها طويلة.

حدث هذا نتيجة لاختلاف المعنى في المجموعتين، فالسؤالان في المجموعة الأولى لا يحتاجان إلى إجابة لأن الحق سبحانه يعدد هنا أقسام الناس يوم القيامة؛ فيكون المعنى هنا تعظيما لمكانة أصحاب الجنة ولعذاب أهل النار، لذا لا ينتظر السامع إجابة عن هذا السؤال، فهو لا يسأل عن صفاتهم بل يعددهم فظهر هذا المعنى في الملامح الصوتية للسؤال من: قصر حركة المقطع، كذا كان النبر والتنغيم على هذا المقطع المتوسط المنبور أقل من المجموعة الثانية.

أما في المجموعة الثانية - فكما ذكرت آنفا - كان المقطع الأخير مديدا مغلقا، وهو موضع النبر والتنغيم، لذا كان أشد وأطول من سابقه؛ انتظارا للإجابة على

سؤال قد طُرِح، فهو سؤال للاستفهام، لذا تلته الإجابة مباشرة، فكان مد الحركة الطويلة في هذا المقطع بمثابة إعطاء مدة زمنية أكبر للسامع ليفكر في الإجابة، ويستقبلها باهتمام كبير وشوق لمعرفة هذا الشيء، بعد لحظة تفكير سريعة فيه.

تطبيق يؤكد اختلاف الهيكل التنغيمي في المجموعتين:

ولو حاولنا وضع إحدى آيتي المجموعتين مكان الآية التي تقابلها في المجموعة الأخرى؛ لظهر الفرق في الهيكل التنغيمي بين المجموعتين، فسنجد عدم تطابق بينهما، فلكل مجموعة هيكل تنغيمي خاص بها، وستكتشف ذلك أذن السامع التي ترفض هذا التغيير وتشعر بارتجاج لاختلاف الهيكلين، فلو حاولنا القراءة هكذا:

﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾ ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾

فتبدو قيمة الهيكل التنغيمي في تصحيح القراءة؛ لأن القارئ عندما يقرأ الآية الثانية يستدعى من ذاكرته القريبة الهيكل التنغيمي للآية الأولى فيشعر باختلاف بينهما؛ نتيجة لعدم تطابق هيكلهما التنغيمي المحفوظ بالذاكرة، فيقرأهما هكذا:

﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ ﴾

ثالثاً: الحوار

ورد في لسان العرب في مادة "حور" أن الحوار: هو الحركة من خلال قولهم حار يحور: كل شيء تغير من حال إلى حال آخر ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة"[(١)]، والحوار مصدر الرجوع من شيء إلى شيء آخر وهو ما يدل على وجود تقلب وعدم ثبات، وهو صيرورة أحوال، قوامها تحول من حال إلى آخر أي هي حركة تغير. لقد"عُرف الحوار باعتباره شكلا من أشكال التواصل منذ القديم... فالحوار يتجاوز مجال التبادل القولى، إلى تعدد المرجعيات واختلاف الأصوات، فهو

(١) لسان العرب لابن منظور: مادة الحاء ج٣ ص ٢٩

كل نشاط إنساني يتجه إلى الآخر. ويتجاوز حدود الذات. وقد تكون وسائله اللغة والإشارة والصلاة أو المشاعر"[١].

"تنظر اللسانيات إلى الحوار ضمن ثنائية دى سوسير التقليدية اللغة والكلام. واللغة نظام من القواعد والعلامات المتفق عليها مسبقا. أما الكلام فهو نشاط فردي وفعل محسوس مادي يتجه به أحدهم إلى الآخر، ومن سماته قيامه على حرية التعبير والتصرف في المدونة. فلكلٍّ طريقته الخاصة في تركيب الألفاظ ... ويكون الحوار بهذا نشاطا تواصليا قصديا أداته اللغة، وهو موجه إلى مخاطب قصد تقديم معلومة معينة أو توضيح رأى ما، فهو نشاط لغوي خاضع للوصف السلوكي ضمن ثنائية المثير والاستجابة، إذ يكون سؤال أحدهم مثيرا والجواب عنه هو الاستجابة الملائمة له"[٢].

يقوم الحوار على وجود شخصين يتحدثان ويتحاوران معا؛ فلابد من وجودهما كأقل عدد ممكن من المتكلمين لإجراء أي حوار في المجتمع. ويقوم الحوار - بناءً على ذلك - على أسس تداولية تحقق التواصل الشفهي بينهما، وتضع له قواعده ومقاييسه التي لا يخرج عليها المتحاوران، ومادام الأمر متعلقا بكلام بين شخصين؛ لهذا يجب دراسته صوتيا لبيان قيمة تلك الملامح الصوتية في تحقيق التواصل بينهما، وما تضيفه من معان للحديث المنطوق، لا تتحقق في حالة إن كان الحديث مكتوبا. يظهر هذا بالنص القرآني؛ كنص الأصل فيه أنه منطوق.

الحوار القرآني:

"إن البحث عن تجليات الحوار في النص القرآني دراسة لمواقع الحضور والتكلم، وتعيين لآلياته في البلاغ والإبلاغ وإذ ننشغل بالعلاقات التي ينشئها كل متكلم مع ملفوظه ومتلقيه ومرجعياته في ذلك، فإننا نسعى إلى تبين مسلكه في الإعلان عن نفسه، وسبله في العرض أو الاعتراض على أن كل صوت في هذه الشبكة

(١) الحوار فى القرآن ظاهرة حجاجية وبيانية: هادية السالمى، كلية العلوم الإنسانية صفاقس ٢٩.
(٢) المرجع السابق: ٢٣.

هو موصول بمنظومة يدافع عنها، ويبين عن مسلماتها لتحويلها إلى واقع عام."[١] بهذه الكلمات أوضحت هادية السالمي قيمة الحوار القرآني في بيان العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وما ينشئه المتكلم من شبكة العلاقات بينه وبين أطراف متعددة، ودور الكلمات والجمل بأصواتهما في تدعيم هذه العلاقة وإضافة معان جديدة للنص. يمكن ملاحظة ذلك بتحليل حوارات السورة؛ فقد بدأت السورة بالإخبار عن يوم القيامة؛ وما وقع فيه من أهوال على أنها وقعت بالفعل؛ باستخدام الفعل "وقعت" في قالب شرطي ليُعِدَّ المتلقي لاستقبال هذا اليوم والتفاعل معه؛ كأنه قد حدث، فيستحضره بكل أحداثه وآثاره، فيكون ذلك أكبر موعظة له، ويستمر الإخبار من الآيات١ إلى ٦، وبعدها يظهر الحوار الأول، وهو عبارة عن خطاب من الله لكل البشر لإخبارهم بهذا اليوم.

ونعرض فيما يأتي لتلك الحوارات القرآنية التي وردت في سورة الواقعة:

(١) الحوار فى القرآن ظاهرة حجاجية وبيانية: ص٦١

الحوار الأول

يبدأ الحوار الأول بتوجيه الخطاب من الله تعالى إلى خلقه جميعا بقوله:

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٧]

عناصر الحوار: المتكلم (الله سبحانه وتعالى)، والمخاطب (كل الخلق).

يخاطب الله سبحانه خلقه قائلا: عندما تقوم الساعة ستكونون أزواجا ثلاثة حسب عملكم في الدنيا. فعبرت الآية عن هذا المعنى بألفاظ قليلة محدودة، استخدم عناصر صوتية فوق تركيبية؛ لتعبر عن معان إضافية.

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معاني الحوار:

أ ـ نبر المقطع (كُنْ) أكد على زمن الحدث أنه كان في الماضي.

ب ـ النبر على المقطع (تُمْ) لتوجيه الخطاب لهم دون غيرهم.

ج ـ العنصر الإشاري (تُمْ) حدد المخاطب بالعبارة، في صورة تداولية، فبين أنه حديث موجه من الخالق سبحانه إلى خلقه، جاء في كتلة صوتية واحدة، تُنطق بنبضة صدرية واحدة ومقطع صوتي واحد؛ فأعطى معنى الشدة والحزم.

ثانيا: التنغيم

أ ـ في حالة الوصل بين الآيات: يكون التنغيم مسطحا (مستويا) لأنه ذكر أصناف الناس يوم القيامة بصورة عامة، ثم تلي ذلك بوصف لكل صنف منهم، فالحديث عن الناس وأصنافهم ممتد من هذه الآية إلى ثلاث آيات بعدها، فيصبح التنغيم في آخر هذه الآية الحوارية مستويا لأنه متصل؛ يسير على تنغيم واحد.

ب ـ في حالة الوقف عند الفاصلة: يكون التنغيم (هابطا) فالآية الحوارية جاءت في جملة إخبارية موجهة إلى المخاطبين؛ تخبر عن أقسامهم في الآخرة، ويمكن الوقوف عندها؛ لانتهاء المعنى فلا ننتظر معنى آخر؛ فيكون التنغيم هابطا.

مكان التنغيم: جاء التنغيم على المقطع المنبور قبل الأخير من الفاصلة (ثلاثة: لا: ص حٰ ح) أي المقطع (لا)، ويليه المقطع (ثة)، الذي ينتهي بهاء السكت؛ التي ينتهي معها النفس تماما، وبهذا يكون امتداد النفس طويلا في المقطع (لا)، ثم يمتد النفس ضعيفا مع هاء السكت التي تنتهي معها الآية بالوقف عندها. ومن هنا كان هذا التنغيم نازلا؛ لأننا لم نقف على مقطع مديد حركته طويل(ص ح ح ص)، بل وقفنا على مقطع طويل مغلق (ص ح ص) منتهى بهاء السكت.

الحوار الثاني

تأتى بعد الحوار السابق كل آيات السورة في صورة إخبارية حتى نصل إلى الآية (٤٩) فيظهر حوار جديد يوجه الله الخطاب فيه لنبيه الكريم قائلا:

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠]

عناصر الحوار: متكلم (الله سبحانه وتعالى). المخاطب: (رسوله الكريم).

يتحول الحديث إلى حوار بين الله سبحانه ورسوله في شكل أمر له بأن يقول لهؤلاء المنكرين الذين يحاجون الله بآبائهم الذين ماتوا كيف يعودون! بأنه تعالى جامعهم من أولهم إلى آخرهم؛ لميقات يوم المعلوم، وهو خطاب لهم عن طريق نبيه (صلى الله عليه وسلم)، تمثل هذا الخطاب في فعل الأمر (قل).

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار:

أكد الحق سبحانه على تغليظ القول وتشديده لهم من خلال ملامح صوتية هي:

أ- نبر فعل الأمر الذي جاء كله في مقطع واحد (قُلْ) فأعطى معنى الشدة والغلظة.

ب- التأكيد على حدث البعث بـ (إنَّ) فكان مقطعها الأول منبورا للغرض السابق.

ج- التأكيد على عملية البعث بنبر كلمة البعث بنبرين (أولى وثانوي) وهى كلمة (لمجموعون: مج: ص ح ص{نبر ثانوي} ، عو: ص ح ص {نبر أولى}).

د- بيان ارتباط هذا اليوم بوقت محدد بنبرين {ثانوي وأولى} على الكلمة الدالة على الوقت (ميقات: مِيْ{ ص ح ص } ، قات {ص ح ص})

هـ- التأكيد على معلومية يوم البعث بنبرين على كلمة المعلومية (مَعْلُومْ: مَعْ {ص ح ص} ، لُومْ {ص ح ص)

و- النبران اللذان على كلمتي (الأولين: أو/ لي، والآخرين: ول/ رين) أعطيا معنى شمول البعث كل أشخاص الحدث؛ فشمل الآباء والأبناء {أولين وآخرين}.

ثانيا التنغيم:

جاء الحوار في آيتين فأصبح لدينا فاصلتان؛ انتهت كل منهما بمقطع واحد (ص حٰ ص) منبور؛ وهو موضع التنغيم؛ لأنه أكبر مقطع في الفاصلتين، وكان منبورا ووقع في آخرهما، ولهذا كان لدينا تنغيمان في الفاصلتين.

١- **في الآية الأولى (الأخرين):** جاء التنغيم في هذه الآية مسطحا (مستويا)، لأننا وقفنا على الفاصلة مع عدم تمام المعنى، فالمعنى هنا ممتد إلى الآية التالية، يقول د. تمام "إذا وقف المتكلم قبل تمام المعنى؛ وقف على نغمة مسطحة لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة،...."[(١)] ووقع التنغيم على المقطع (رين: ص حٰ ص) المنبور.

٢- **في الآية الثانية (معلوم):** جاء التنغيم هنا هابطا، لأننا أمام عبارة إخبارية، تنتهي الرسالة الإخبارية بنهايتها، فلا ينتظر المتكلم من السامع ردا عليها، وقد وقع التنغيم على المقطع (لوم: ص حٰ ص) المنبور.

(١) المرجع السابق: ٢٣١.

الحوار الثالث

يتحول الحوار السابق غير المباشر بين الله وعباده إلى حوار مباشر وموجَّه لهم، فتحول خطابه سبحانه نحوهم؛ ليصبح مخاطبا إياهم في هذا الحوار الجديد بالالتفات نحوهم، فيتحول من مخاطبتهم ضمنيا إلى خطاب مباشرة لهم، من قوله: قل لهم يا محمد، إلى قوله سبحانه لهم مباشرة: ثم إنكم أيها..

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

عناصر الحوار: متكلم (الله سبحانه وتعالى) مخاطب: (المكذبون بالبعث).

يوجه الحق سبحانه الخطاب بالتهديد والوعيد لهؤلاء القوم الضالين المكذبين مع بيان عقابهم عنده، بجملة واحدة ممتدة جاءت في عدة آيات، استعان الحوار فيها بوسائل صوتية مختلفة؛ لتوصيل هذا المعنى التهديدي لهم، فحرص النص من خلال تلك العناصر الصوتية المصاحبة له على إبراز معان خفية أظهرتها تلك العناصر.

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار:

جاءت عناصر صوتية في الحوار أوجدت معان إضافية يمكن أن استنتاج منها:

أ- التأكيد على عقابهم بإنَّ المؤكدة، وبإسناده لهم بضمير مخاطب متصل بـ(إنّ) ليكوِّنا معا كلمة واحدة من ثلاثة مقاطع، أُبْرز مقطعها الأول بنبر أولىّ، لإظهار ذلك التأكيد الذي في (إنّ)، وتوجيه الخطاب متهما إياهم بالمقطع (كُمْ).

ب - التأكيد على توجيه الخطاب إليهم، ولكن بطريقة جديدة، وهى النداء عليهم بأداة النداء المخصصة للاسم المعرف، (أيُّها)، لتحديدهم بأداة التعريف (ال)، ثم وصفهم بصفات ثابتة فيهم، وهى الضلال والكذب، وتتحول الصفة إلى اسم لهم.

ج- التأكيد على التصاق تلك الصفات السابقة بهم؛ وإبراز ما بها من معان مكروهة؛ وذلك بالنبر عليها بنبرين (أوليٍّ وثانوي): (الضَّالُّون: ضال/ لو)

(المكذِّبون: كذ/ بون) فكان النبران على الكلمتين مشعرين بتوجيه الخطاب لهم في شكل اتهام، مع وصف سيء لهم؛ وذلك بالنداء عليهم بتلك الصفات التي أصبحت في مقام الاسم لهم يُنادُون به، وجاء النبران في كلمتين متتاليتين؛ وفى موقعين متقاربين في الكلمتين، فتكرر النبر بنوعيه في الكلمتين أربع مرات متتالية، مما أعطى إيقاعا منتظما متكررا، دل على معنى الشدة والحزم.

د- جاء المقطع (ص ح ح ص) لأول مرة في وسط الآية (الضالون) مما أعطى الكلمة مدة زمنية أطول في النطق بإشباع الحركة الطويلة التي بوسط المقطع، مما يشعر بالوعيد مع مد النفس الآتي من حركة هذا المقطع في (الضالون).

هـ- التأكيد على إسناد فعل الأكل من الزقوم إليهم بصيغة اسم الفاعل، ثم النبر عليها بنبرين {ثانوي وأوليٍّ} (لأكلون: ل/ لو) مما أكد قيامهم هم بهذا الفعل، أي لأكلون أنتم وحدكم.

و- توجيه الخطاب إليهم من خلال كلمات متتالية متفقة صوتيا أكَّدَ على توجيه الاتهام لهم بتلك الصفات واختصاصهم بها؛ فجاءت متفقة صوتيا بصورة كبيرة من حيث: الوزن والمقطع والنبر وصيغة الجمع، ويمكننا النطق بهذه الكلمات بصورة متتالية ككلمات مستقلة؛ لبيان هذا التوافق الصوتي الذي بينها، وهى: [الضالون، المكذبون، لأكلون، مالئون، فشاربون، فشاربون] فجاءت جميعها منبورة بنبرين للتأكيد عليها، ولإبراز ما بها من معان خفية، وأتت منتهية جميعها بالمقطع (ص ح ح ص) ومنتهية أيضا بصوتين متتاليين متكررين فيهم جميعا هما: (صوت صائت الواو)، و(صوت صامت النون).

ز- تكرار صوتيْ الواو والنون بنهايات الكلمات السابقة صنع فيها إيقاعا واحدا متكررا منتظما، فلم نجد تغييرا أو تبديلا من الواو والنون إلى ياء ونون؛ كذلك الكلمات الأخرى المشتركة معها في الفاصلة بتلك الآيات؛ جاءت حاملة النهاية الصوتية الواو والنون [زقوم، البطون] على الرغم من أنها مفردة وليست جمعا.

ح- الربط الصوتي بين الآيات المتتالية: وذلك بالتمهيد للانتقال من فواصل منتهية بواو ونون إلى فواصل منتهية بياء ونون؛ وذلك بوضع كلمة في فاصلة الآية الأولى منتهية بواو ونون (البطون)، ثم تليها كلمة في أول الآية الثانية منتهية بواو ونون (شاربون)، ثم تأتى (شاربون) مرة ثانية في الموضع نفسه في أول الآية الثالثة، ثم يبدأ الانتهاء بياء ونون من فاصلة الآية الثانية والثالثة والرابعة؛ فلا نشعر بالانتقال من فواصل تنتهي بواو ونون وإلى فواصل تنتهي بياء ونون؛ لاحظ هذه الترتيب: ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

ثانيا: التنغيم

يتكون هذا الحوار من عدة آيات، تعبر عن فكرة واحدة هي عقاب هؤلاء القوم، وهى تتفق في أن فواصلها تنتهي جميعا بالمقطع (ص ح ح ص) وهو مقطع منبور، وعليه يظهر التنغيم الخاص بكل آية، وعلى الرغم من هذا فلكل آية منها تنغيم خاص؛ لأنه يرتبط بمكونات حوارية خاصة به، ففي:

١- **الآية الأولى:** التنغيم مستوى (مسطح) لأن المعنى لم ينته عند تلك الآية، لكن انقسام المعنى في آيتين مع الوقوف على آخر مقطع من الآية الأولى أضاف معنى آخر للآية، بسبب هذا الوقف، وهو معنى شدة التهديد والوعيد، وذلك بوضع فاصل زمني بين (إن) وخبرها الذي هو حكم على المبتدأ (الضالون المكذبون) مما يجعل السامع يفكر في ماهية هذا الوعيد! فيُظهر التنغيم المسطح حاجة السامع إلى معرفة هذا الوعيد؛ فيسرع إلى سماع الآية التالية.

٢- **الآية الثانية:** التنغيم فيها هابط، حيث يمكننا مع الوقوف على آخر تلك الآية السكوت لانتهاء المعنى عندها بمعرفة عقاب هؤلاء القوم، فهي جملة خبرية.

٣- **الآية الثالثة:** التنغيم فيها هابط أيضا، فالآية تضيف معنى آخر للمشهد وهو وصف كمية أكلهم من شجرة الزقوم وتستمر الآيات بهذا التنغيم الهابط لآخرها.

الحوار الرابع

هذا الحوار هو الأكبر في تلك السورة، وهو حوار حجاجي بين الحق سبحانه وخلقه، يبدأ من الآية ٥٧ حتى الآية ٧٤.

يمكننا دراسة هذا الحوار من عدة محاور تمثل جوانب صوتية مختلفة، هي:

١. المحور الأول: "الحوار" وقدرة الأصوات على جعله يحمل معان إضافية.

٢. الهياكل التنغيمية التي تتكرر في الآيات مع كل نعمة؛ لتصنع تناغما بالآيات، شارك كل هيكل تنغيمي في إيجاد إيقاع منتظم نتيجة لتكرار بعض الأصوات.

المحور الأول: (الحوار)

مقدمة الحوار: " فضل الله على كل البشر "

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

عناصر الحوار: المتكلم (الله سبحانه وتعالى)، المخاطب (كل الخلق).

كانت هذه الآية هي اللافتة الكبرى التي وضِعتْ في بداية الحوار، لتعلن عن القضية التي سيناقشها هذا الحوار، فالله خلقهم ويأمل منهم أن يصدقوه، فأعلن عن فضله في إيجادهم من العدم بلفظ الجمع تعظيما للصانع وصنعته.

(فلولا تصدقون) إعلان عن كفرهم، فكان يأمل سبحانه أن يكون ردهم على نعمته عليهم بشكره عليها، لكنهم جحدوا بأنعم الله عليهم، وقد عبرت الآية عن ذلك في هذا الحوار.

أولا: المصاحبات صوتية وأثرها على معنى الحوار

أ- النبر الأولىِّ على ضميري المتكلم (نحن: نح) و(خلقناكم: نا) أبرزا عظمة الله الخالق والصانع سبحانه، وأكد على إسناد هذا العمل له وحده.

ب- النبر بنبرين على فعل الخلق (خلقناكم: لق/ نا) كان تعظيما لحدث الحلق.

ج- النبر بنبرين على كلمة الرجاء (فلولا: ف/لو) بين أمله سبحانه في تصديقهم

د ـ النبران على (تصدقون: صد/قون) بيّنا سبب كفرهم وهو عدم تصديق البعث.
هـ ـ النبر الأولىِّ في (تصدقون) جاء على واو الجماعة لبيان عموم إنكارهم.

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم هابطا، حيث انتهت الآية مع بيان معناها؛ على مقطع مديد مغلق منبور؛ فحَمَّل الآية معان إضافية منها: التأكيد على رغبة الحق سبحانه في تصديقهم بالبعث، وحث الآخرين على التصديق به، وبيان أهمية ذلك التصديق.

نعم الله على خلقه

هذا حوار حجاجي كبير من طرف واحد هو الله، حيث تكلم سبحانه مخاطبا عباده، بحديث عدَّد فيه نعمه عليهم في صورة حوارية حجاجية تقوم على طرح السؤال عن النعمة كمقدمة للحديث عن تلك النعمة، ثم السؤال عمن أوجدها، وهو سؤال تقريري غرضه تقرير نسب هذه النعمة لصاحبها، ثم بيان ماذا يحدث لو أن الحق سبحانه سلب منهم هذه النعمة ؟

أولا: نعمة الخلق

السؤال الأول: يبدأ الحديث عن تلك النعمة بسؤال عن بداية عملية الخلق ، قائلا: هل رأيتم الشيء الذي تخلقون منه ؟

الآية الأولى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معاني الحوار

بدأ الحق سبحانه حديثه عن هذه النعمة بسؤال عما قبل البعث، وهو بداية الخلق، فقامت عناصر صوتية في السؤال بإبراز ما تضمنه من معان، وهى:

١ـ السؤال بالهمزة مع استخدام الفعل رأى الذي يحوى همزة أيضا؛ أدى إلى تكرار الهمزة مرتين في كلمة واحد في مقطعين منبورين بالكلمة (أفرأيتم: أ/َ.../أي/...) مما أعطى الكلمة اهتزازا شديدا نظرا لأن الهمزة صوت حنجري انفجاري، ليناسب طبيعة السؤال المباشر الموجه لهم فتضمن معنى التقرير.

٢. التأكيد على بداية الخلق؛ بإبرازها بالنبر عليها بنبرين (تمنون: تم / نون).

٣. تكرار نونين بمقطع واحد(تمنون: نون) بينهما صوت الواو الضيق، مع وجود صوت الميم قبله أتى بنغم خفي جميل بسبب صوتيْ الغنة (م .ن) بالكلمة.

٤. التوزيع الصوتي للميم والنون في الآية: جاءت الميم ثلاث مرات في كلمات متتالية بوسط الآية: أفرأيتُمْ، مَا، تُمْنون، وجاءت النون مرتين في كلمة واحدة: {تمنون} بينهما صوت الواو، إن التوزيع الجيد لصوتي الميم والنون في الآية أدى إلى شيوع صوت اللغنة الرخيم في الآية كلها.

التنغيم:

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة في (تمنون: نون {ص ح ح ص} هو تنغيم صاعد؛ لأنه استفهام تضمن معنى الاستنكار وأنهم يرونه فلماذا الكفر؟

الآية الثانية: ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

جاءت هذه الآية امتدادا للحوار بربط السؤال الأول بالسؤال التالي له، فالضمير في الآية التالية في (تخلقونه) يعود على ما تمنون، فإن كنتم رأيتم ما تمنون؛ فهل أنتم خلقتموه أم نحن الخالقون؟! سؤال يحتاج إلى عناصر صوتية لإبرازه، فهو موجه من الله إلى عباده؛ أضافتْ الملامحُ الصوتية معان جديدة له؛ لم تستطع اللغة المكتوبة إظهارها، فظهر ذلك من خلال النبر الذي نجده بالآية، وتظهر أكثر بالمقارنة بين الكلمتين اللتين بهما همزتي الاستفهام في الآيتين: (أفرأيتم؟) و(أأنتم؟) فيتضح من تلك المقارنة أن:

١. (أفرأيتم) تتكون من: همزة الاستفهام + الفاء + الفعل رأى+ ضمير الجمع. تقسم مقطعيا إلى: أ: ص ح/ف: ص ح/ر: ص ح/ أيْ: ص ح ص/ تم: ص ح ص. هذا يعنى أن الهمزتين (همزة الاستفهام وهمزة الفعل) وقعتا بين مقطعين (ف/ر: ص ح) قصيرين، فأوجد ذلك فاصلا بين الهمزتين؛ مما قلل من شدة انفجارهما، وهما في الوقت ذاته موضع النبرين بالكلمة، فكان النبر الثانوي على همزة الاستفهام في مقطع قصير (أ: ص ح) وكانت همزة الفعل موضع النبر الأولىّ في المقطع (أيْ: ص ح ص) فتوالى مقطعين منبورين بنبرتين

أحداهما أشد من الأخر أوجد هزتين متتاليتين بالكلمة.

٢- (أأنتم) تتكون من: همزة الاستفهام + ضمير المخاطب الجمعي (أنتم).

تتكون مقطعيا من: أ : ص ح/ أَنْ: ص ح ص/ تُمْ: ص ح ص.

هذا يعنى أن الهمزتين هنا قد جاءتا متتاليتين دون فاصل مقطعي بينهما، كما رأينا في الكلمة السابقة، مما أدى إلى تغليظ المعنى للإحساس بالشدة الناتجة عن توالى صوتين انفجاريين دون فاصل، مما أحدث هزة انفجارية أكبر من الهزة التي في (أفرأيتم؟) ذلك لأنه يوجه الخطاب إليهم هم مباشرة بضمير منفصل، مع الاستفهام الذي جاء من خلال مواجهة مباشرة بين المتكلم والمخاطب، فهذا السؤال عبارة عن استفهام استنكاري؛ يحمل معنى نفى خلقهم للمنى، واتهامهم بالكذب لو أنهم قالوا: نحن الخالقون.

هذا يعنى أن الهمزتين هنا قد جاءتا متتاليتين دون فاصل مقطعي بينهما، كما رأينا في الكلمة السابقة، مما أدى إلى تغليظ المعنى للإحساس بالشدة الناتجة عن توالى صوتين انفجاريين دون فاصل، مما أحدث هزة انفجارية أكبر من الهزة التي في (أفرأيتم؟) ذلك لأنه يوجه الخطاب إليهم هم مباشرة بضمير منفصل، مع الاستفهام الذي جاء من خلال مواجهة مباشرة بين المتكلم والمخاطب، فهذا السؤال يحمل معنى الاتهام لهم بأنهم من خلقوا منيهم !

الإجابة في السؤال:

السؤال: أأنتم؟ يحتاج إلى إجابة سريعة، أتت الإجابة من خلال النبر بنبرين على كلمة الحدث (تخلقونه: تخ / قو) إنها عملية الخلق التي حملت من خلال النبرين معنى الرفض لكونهم قد خلقوا أي شيء، فكانت الإجابة بـ (لا) مسموعة في هذين النبرين، لقد سبقت هذه الكلمة (أأنتم) كلمة الحدث الذي نسأل عنه، فكانت كافية بعناصرها الصوتية في الدلالة على الرفض أن يكونوا قد فعلوا ذلك، فلو أن الحق سبحانه قال: أأنتم تخلقونه؟! فقط وسكت لكفى، ولفُهِمَ أن المقصود من الاستفهام نفى أن يكونوا هم الخالقون، لكن مجيء العناصر الصوتية الخطابية التي تحدثنا عنها آنفا حمل معنى الاتهام لهم بالكذب، فكان اتهاما صريحا مباشرا؛ وليس سؤالا عمن خلقهم فهم ، يعرفونه .

يأتي النصف الثاني من السؤال ليقرر حقيقة هم يعلمونها أيضا أنه خالقهم، استكمالا لبناء السؤال بوضع الإجابة في النصف الثاني من العبارة، لأن أَمْ هنا للتخيير، فهل هم الخالقون أم الله سبحانه؟ هذا السؤال تكون إجابته باختيار أحد الشقين: هم أو الله سبحانه وتعالى، وقد بدأت الإجابة وانتهت مع الشق الأول من السؤال، فهم لم ولن يخلقوا ذبابة،هذا المعنى أدركناه آنفا من النبرين اللذين على كلمة (تخلقونه) أما الشق الثاني فجاء ليؤكد نسب الصنعة إلى صانعها، ليس بما نعرف من عناصر صوتية (الفونيمات التركيبية)، بل بعناصر صوتية أخرى تضاف إلى ما سبق وهى الضغط على مقاطع معينة في العبارة الجديدة لتضيف معان جديدة، منها: النبر على المقطع الأول من (نحن: نح) لإبراز هذا الضمير المعبر عن عظمة الصانع، مع وضْعِه في أول العبارة تعظيما للخالق سبحانه.

ثم يأتي تعظيم آخر للصانع سبحانه بالكلمة التالية المنبورة بنبرين (الخالقون: خا /قون) وذلك بإسناد الحدث إليه في صيغة اسم الفاعل مجموعا جمعا سالما؛ تعظيما له ولصنعته، ويبدو هذا التعظيم بوضوح في المقطع (قون: ص ح‘ح ص)المنبور في آخر الكلمة مع الفاصلة؛ حين يشبع القارئ هذا الصوت الضيق الذي بين القاف والنون (الواو) كيفما شاء؛ فيكون بمثابة صيحة عالية تقول: اعلم أيها السامع أنني أنا الخالق ولا خالق سواى، وما كان لنا أن نشعر بهذا المعنى لولا وجود المقطع (قون) منبورا في نهاية السؤال، ونهاية الفاصلة، ونهاية النفس الخارج من صدر القارئ حاملا معه ذلك المعنى العظيم، ثم تليه سكتة الوقف.

فارق آخر بين (أفرأيتم وأأنتم) أن الأولى تحمل طلب النظر إلى أصل الخلق وتدبره في صيغة سؤال، أما الثانية فتعنى توجيه الاتهام لهم بالكذب فيما ادعواه بعدم البعث، في صيغة سؤال.

التنغيم:

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو(الخالقون: قون {ص ح‘ ح ص} وهو تنغيم صاعد؛ لأنه استفهام تضمن معنى النفي، فهم لم يخلقونه.

الآية الثالثة: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

قال الحق مخاطبا خلقه: إننا نحن وحْدَنا قدَّرْنا بينكم الموت، فقَدَرنا على إماتتكم كما قدرنا على خلقكم، وحدَّدْنا لكم الآجال، فلم يسبقنا أحد بهذا العمل، هذه الآية تعظيم للذات الإلهية، وما لله سبحانه من قدرة لم ولن يسبقه إليها أحد؛ من خلق وبعث وتغيير وتبديل في الخلق كما يشاء سبحانه إنه هو القادر العظيم.

هذا المعنى يحتاج لوسائل صوتية لإبرازه، نراها أولا في الجانب التركيبي، حيث بدأ الجملتين بضمير المتكلم الجمعي (نحن) للتعظيم، وأسند الفعل خلقناكم إلى ضمير جمعي (نا) كذلك وجَّه الحديث إليهم بضمير المخاطب (كم) وجعله مُقَّدما على المفعول (الموت) للتأكيد على تخصيصهم هم بالخاطب.

عناصر الحوار: ضمائر المتكلم (نحن، نا). ضمير المخاطب (كم).

أولا: المصاحبات صوتية وأثرها على معنى الحوار

١. النبر الأوليّ على (نحن: نح) أبرز الضمير الجمعي الذي تكرر مرتين بالآية
٢. النبران على (قدَّرنا: قد/ در) أكَّدا نسب التقدير إلي الله وحده، بضمير جمعي.
٣. النبران على (مسبوقين: مس/قين) نفى نسبة السبق في هذا العمل إلى سواه.
٤. تكرار (نحن) مرتين؛ أحدث تكرارا لإيقاع واحد منبور في آية واحدة.

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو(بمسبوقين: قين {ص ح ح ص} وهو تنغيم مستوى؛ لأن معنى الجملة لم ينته، حتى يصل إلى الآية التالية.

الآية الرابعة: ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

هذه الآية امتداد للجملة السابقة (وما نحن بمسبوقين) ومعمولها، مما يؤكد غلبة الجانب الصوتي في بناء النص القرآني على الجانب التركيبي؛ حيث أتتْ الجملة الواحدة في أكثر من آية؛ ليحقق ذلك التركيب انسجاما صوتيا من خلال تقسيمها إلى آيات، تنتهي بفواصل متماثلة تقريبا، محدثا نغما خفيا ينتقل معنا من آية إلى أخرى؛ فنسمع صداه عند نهاية الآية في الفاصلة، مما يجعل القارئ المتابع

لهذا المعنى ينتقل من آية إلى آية، بنغم خفي يصاحبه في نهاية كل آية، فيستمر في متابعة النص مشدودا إليه بهذين العنصرين، فتصبح عملية متابعة عناصر الجملة محاطةً بهذا النغم الخفي، فيجتمع في ذهنه المعنى والنغم في إيقاع منتظم متكرر.

عناصر الحوار: متكلم (نون الجمع بالأفعال: نبدل ـ ننشئكم).

مخاطب (كُمْ: ننشئكم ـ أمثالكم) و (واو الجماعة: تعلمون).

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على المعنى في الحوار

هذا الحوار استمرار لما في الآية السابقة من خطاب بين الحق سبحانه وخلقه، جاء حاملا المعنى الممتد في الآيات، مع معان أخرى أظهرتها عناصر صوتية، منها:

١. الوقوف عند فاصلة الآية السابقة (مسبوقين) جعلت المتلقي شغوفا؛ مشدودا لمعرفة معمول اسم الفاعل الآتي في الآية التالية، ذلك لانتهاء فاصلة الآية بالمقطع (ص ح ح ص) الذي إذا أشبعنا الحركة الطويلة التي فيه؛لأعطتنا مدة زمنية أطول فتُتِيح لنا فرصة للتفكير في ماهية هذا المعمول، وهنا يحاول المتلقي الربط بين الصوت وما يتابعه من معنى؛ مما يجعله متعلقا بالآية التالية.

٢. إبراز معنى التهديد بتوجيه الخطاب إليهم بغلظة بهذين النبرين اللذين على هاتين الكلمتين: (أمثالكم: أم / ثا) و (ننشئكم: نن / ش).

٣. المقطع (كُمْ) جاء مرتين متتاليتين في كلمة (أمثالكم) وكلمة (ننشئكم) ليؤكد على توجيه الخطاب لهم دون سواهم.

٤. كلمة "أمثالكم" تعنى أنه سبحانه لم يسبقه ولم يغلبه أحد في هذا العمل (الخلق والبعث) إنه أمر هينٌ عليه، خاصة إذا كان خلق أمثالكم، فخلق السماوات والأرض أكبر عند الله من خلق الناس ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧]، هنا تحمل كلمة (أمثالكم) معنى التقليل من مشقة خلقهم بالنسبة لخلق السماوات والأرض.

ملاحظة دلالية: نرى تطورا دلاليا لهذه الكلمة بتوسيع دلالتها؛ لتحمل معنى جديدا في عصرنا؛ حيث يستخدمها الناس الآن في خطابهم الحواري مع الآخرين

بمعنى التقليل من شأنهم فيقولون: أمثالكم لا يجلسوا معنا، تقليلا من شأن من يخاطبونهم، والسخرية منهم، لتصبح المثلية بالعبارة المعاصرة ببنائها الصوتي نفسه؛ تحمل معنى جديدا هو الدونية.

٥. العنصر الإشاري (ضمير الجمع في تعلمون) حقق لنا أهدافا صوتية ودلالية منها: ظهور الواو والنون بالمقطع الأخير لفاصلة الآية حقق انسجاما صوتيا مع باقي فواصل الآيات التي قبلها والتي بعدها، وقد أعطى الجمع معنى شمول جهلهم بقدرة الله قدرته على خلق أمثالهم؛ فهم كلهم لا يعلمون.

ثانيا التنغيم:

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو(تعلمون: مون {ص ح ح ص} وهو تنغيم هابط؛ لأن العبارة إخبارية تتضمن معنى التهديد.

الآية الخامسة: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

يستمر الحوار بين الحق وخلقه؛ بتذكيرهم بعملية الخلق الأولى للإنسان من طين، وأنهم قد تبين لهم ذلك بالعلم اليقيني؛ ثم يشير إلى مشكلة الإنسان الكبرى النسيان فيأمل لو أنهم تذكروا خلقهم الأول من طين، ليعلموا قدرته على البعث.

عناصر الحوار: المتكلم (الحق سبحانه). مخاطب (خلقه جميعا).

عناصر إشارية: ضمير المخاطب الجمعي لشمولهم جميعا (تُمْ ـ واو الجماعة).

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

جاء الحوار بعناصر صوتية كثيرة أظهرت معان جديدة منها:

١. توجيه الخطاب لهم بالضمير (تُمْ) جاء في مقطع واحد.

٢. وجود نبرين على الكلمتين (م النَّشأة: مُنْ/ نَشْ، أة الأولى: ةلْ/ أو) حددا المقصود بالعلم، فهما الدليل القاطع علي البعث، وهو علمهم بالنشأة الأولى التي كانت من الطين؛ فأكد على ذلك العلم، وأظهره بنبرين على كل من الصفة والموصوف.

٣. نبر كلمة الرجاء (فلولا : ف/لو) بنبرين أظهر الرغبة والرجاء بأن يصدقوا.

٤. نبر كلمة (تذكرون: ذك/ رون) بنبرين أظهر مشكلة الإنسان: كثرة النسيان.

٥. بدأت الآية بمقطع منبور (ولقد : و : ص ح) أظهر تحقق حدوث العلم لديهم.

ثانيا: التنغيم:

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو(تذكرون: رون {ص ح ح ص} وهو تنغيم صاعد؛ لأن العبارة طلبية؛ تضمنت معنى الرجاء.

العناصر الحجاجية في الحوار حول نعمة الخلق:

بدأ الحوار بالحديث حول نعمة خلق الإنسان، وهى النعمة التي يجب على الإنسان أن يبدأ بالنظر إليها إذا أراد أن يذكر نعم اللّه عليه ويعددها، فكانت نعمة الخلق في خمس آيات؛ وفى المقابل كانت النعمة التي تليها نعمة إخراج الزرع في عدد آيات مساوٍ لها (خمس آيات)، ولكن نعمة الخلق كانت مقدمةً على نعمة الزرع؛ لأنها أصل نشأة الإنسان؛ حيث سيفكر بعد ذلك في طعامه وشرابه.

اعتمد الحوار على عناصر حجاجية دعمته وأكدت قوله، نذكر بعضها هنا:

١. بدأ الحديث عن النعمة بسؤال، وجه الأنظار نحو بداية الخلق الثاني للإنسان في شكل سؤال يحتاج لجواب؛ ليرفع مرتبة الحوار إلى النقاش، سؤال ثم جواب

٢. قدَّم الدليل المادي (ما تمنون) لبيان حدث غيبي البعث كوسيلة إقناع حجاجي

٣. الفعل (رأيتم) تعنى الرؤية بالعين؛ تأكيدا على صدق حدث يُرى بالعين.

٤. بدأ المرحلة الثانية من الحوار بسؤال، مما أظهر تطورا ونموا في الحوار.

٥. السؤال الثاني انتزع الإجابة منهم بسؤالهم عمن خلق المنى؛ كأنه لا يعرفه؛ ليتلقى الإجابة منهم؛ بصورة فورية بأنه اللّه، فيكون دليلا على البعث.

٦. الوسيلة الإقناعية بالحوار تقوم على تقديم الإجابة في السؤال بالتخيير بـ أَمْ.

٧. تأتى الإجابة الحجاجية من الحق على السؤال السابق بتوجيه الحوار ناحية الحديث عن نهاية الإنسان (الموت) قبل الحديث عن بدايته، فقد أجَّلْنا لكم الآجال التي ستموتون بعدها، ثم تأتى بعد ذلك حجة أخرى، أننا لم نسبق

بهذا الصنيع ولم نغلب من قبل ولا من بعد، ثم ينمو الحوار الحجاجى في قوله: بل نحن قادرون على أن نستبدلكم بأمثالكم من الخلق، وأن نخلقكم في ما لا تعلمون.

٨. يقدم الحجة على قوله السابق بتذكيرهم بعلمهم بالخلق الأولى من طين؛ فيقدم الإجابة قبل السؤال، حيث بدأ بتذكيرهم بهذا العلم السابق في تركيب معين هو: (لام التأكيد + حرف التحقيق قد + الفعل علمتم أي سلفا بالخلق الأول) آملا أن يتذكروا هذا العلم؛ كدليل مادي لديهم على قدرته على البعث؛ لكن مشكلتهم هي عدم تذكرهم، هنا يسير الحوار الحجاجي في اتجاه مناقشة مشكلة سبب إنكارهم للبعث، لا لجهلهم بقدرته سبحانه على فعل ذلك، بل لنسيانهم، وهو آفة كل علم.

٩. الاتجاه بالحوار ناحية أدلة لا تقبل الجدال يُقرُّ بها كل البشر "النشأة الأولى" للإنسان من طين، تلك أهم أساليب القرآن الحجاجية بإرجاع الأمر إلى أصله كما قال سبحانه ردا على من أنكر من المشركين تحويل القبلة ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٢] فأصل القضية أن الكون كله ملك لله؛ فليفعل في ملكه ما يشاء، فلماذا تجادلونه في ملكه؟! كذلك أنتم تعلمون أن أصل خلقكم كان من طين، فكيف تنكرون علىَّ عملية بعثكم من جديد، فلماذا الجدال؟!

لتنتهي بذلك مناقشة تلك القضية الحوارية بين الله تعالى وخلقه حول نعمته عليهم وهى خلقهم وبعثهم، فيبدو الحوار متكامل الجوانب، قدَّم فيه أدلته المقنعة وبصورة حجاجية منطقية مقنعة أيضا، و في لغة عالية البناء.

ثانيا: نعمة الزرع

ينتقل الحديث إلى نعمة أخرى تلي نعمة الخلق، هي نعمة إخراج الزرع؛ فلولا الزارع الحقيقي لهذا النبات سبحانه وتعالى ما رأينا زرعا قط.

الآية الأولى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

بدأ الحق سبحانه حديثه عن نعمة الزرع بصيغة السؤال السابق نفسها: همزة الاستفهام +همزة الفعل رأى+ فاعل(تم)+ مفعول(ما) فتكرر النمط الاستفهامي مع كل نعمة، مع نهاية مقطعية واحدة عند الفاصلة بالمقطع (ص ح ح ص) مما جعل السؤال الجديد يحمل الملامح الصوتية السابقة نفسها، فوجه حديثه إليهم، مخاطبا إياهم، سائلهم عن رؤيتهم لتلك النعمة "الزرع".

مقابلة الصوتية بين نعمتي الزرع والخلق:

١. أن عدد المقاطع واحد فيهما (٨) مع زيادة مقطع واحد (ر) في نعمة الزرع.
٢. تكرار العبارة (أفرأيتم ما تمنون ـ أفرأيتم ما تحرثون) عدا اسم النعمة فيهما.
٣. نوع المقاطع وترتيبها واحد في الآيتين وكذلك نبرهما مما أدى إلى توافقهما.
٤. المقطع الأخير في فاصلة الآيتين هو(ص ح ح ص) مع صوتي النون الواو.

التنغيم: جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة في(تحرثون: ثون {ص ح ح ص} وهو تنغيم صاعد؛ لأنه استفهام تضمن معنى الاستنكار، لأنهم يرونه .

الآية الثانية: ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

هذا هو السؤال الثاني كالذي في النعمة السابقة، عمن يزرع وليس عمن يحرث.

عناصر الحوار: متكلم (الله سبحانه). مخاطب (عباده جميعا).

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

تقوم العناصر الصوتية في هذه الآية على ما ذكرناه آنفا في الآية السابقة التي تتحدث عن نعمة الخلق في قوله تعالى: "أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون"، فينطلق الحديث بالكيفية الصوتية السابقة نفسها؛ حيث يتم أداء هذه الآية بطريقة حوارية مطابقة صوتيا تماما للآية السابقة، ذلك لوجود السؤال نفسه في الآيتين؛ وما يتبعه من تطابق في الأداء الصوتي عند إلقاء أي من السؤالين؛ نظرا لما تفرضه طبيعة الحوار الاستفهامي الصوتية؛ كنبر المقاطع نفسها بالآيتين؛ كذا تقسيم الآيتين إلى المقاطع الصوتية نفسها، بترتيبهما السابق الذي في الآيتين.

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو(الزارعون: عون {ص ح ح ص} وهو تنغيم صاعد؛ لأنه استفهام تضمن معنى النفي، فهم لم يزرعونه.

الآية الثالثة: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥﴾

تمضى الآيات في الحديث عن نعمة الزرع؛ فيقول الحق: ماذا لو سلبنا منكم هذه النعمة؟ معلنا أن الأمر راجع لمشيئته هو، موضحا التوقيت المناسب للحدث فهو سبحانه لن يسلب الزرع إلا إذا صار شجرا يحمل ثمرا، فقبل هذا لن تكون هناك خسارة كبيرة لهم عند تحطيمه، فيكون بعد ذلك ندم وحسرة على ما كان حبّا فصار زرعا، ثم أصبح فجأة حُطاما، وهنا تأتي الصيحات الانفعالية والصرخات الاستغاثية التي سنراها في الآيتين التاليتين لهذه الآية.

عناصر الحوار: المتكلم (الله سبحانه) ❖❖❖ المخاطب (جميع خلقه).

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

عبرت الكلمات عن معان ظاهرة وخفية بالآية من خلال:

١. إبراز معنى الشرط بالنبر على (لو) فتنطق دفعة واحدة بمقطع واحد منبور.
٢. إظهار معنى التهديد والوعيد و بيان قدرة الله عليهم؛ بوضع (لو) بأول الآية.
٣. وجود نبرين على كلمة التحول (لجعلناه) أظهر أن التحول بيد الله سبحانه.
٤. الفاء في أول جواب الشرط؛ أوجد فاصلا صوتيا بين الحدث ونتيجته: فَظَلْتُمْ.
٥. تقديم (فظلتم) أدى لبيان أهمية صفة الاستمرار علي الحدث نفسه (تفكهون).
٦. تأخير (تفكهون) لتصبح الفاصلة؛ أدى للتوافق الصوتي مع الفواصل السابقة
٧. نبر المقطع (تف) في (تفكهون) أعطى معنى استمرار الندم بتاء المضارعة.
٨. المقطع (تُمْ) في(فظلتم) وجه الخطاب والاتهام لهم، بإسناد الحدث لكم (أنتم).

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلة وهو (تفكهون): هون {ص ح ح ص} وهو تنغيم هابط؛ لأن الجملة إخبارية ينتهي المعنى بها، تضمنت معنى الحسرة.

الآية الرابعة والخامسة: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

عناصر الحوار: المتكلم (الذين تحطم زرعهم) المخاطب (الزارع: الله سبحانه)

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار:

يتحول الحوار بتحول عناصره (متكلم/مخاطب) فَيتم تبادل المواقع؛ فيصبح المخاطب للمرة الأولى متكلما، فالذين حرثوا أرضهم في حزن على ما وقع بهم من بلاء، وعلى ما أنفقوا عليها من أموال، فأضحت حُطاما، لهذا جاءت العبارة الحوارية هنا معبرة عن الحسرة والندامة على ما حدث لهم؛ فماذا يفعلون، إنهم يصرخون ويعلنون ندمهم وحسرتهم؛ لذا جاءت عبارتا الحسرة والندم في آيتين قصيرتين عبرتا عن هذا الموقف، وما نراه بالآيتين من تركيب صوتي يعبر بدقة عن هذا الندم والحزن في صرخات وصيحات نادبة نادمة على ما ضاع منهم، فجاءت في قالب صوتي معين بخصائص صوتية تناسب هذا الموقف. أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

١- فاصلتا الآيتين انتهتا بالمقطع (ص ح ح ص) بالحروف نفسها (مغرمون: مون، محرومون: مون) فجاء الإيقاع واحدا متطابقا فيهما، فبدا هذا المقطع الأخير كأنه هاء الندبة التي تكون بآخر الكلمة نحو: واإسلاماه. وأسفاه مما يلائم حالة الحزن والحسرة التي هم فيها، فعبرت الصيحات والصرخات عن حالهم.

٢- تأثير النبر على معاني الكلمات وإبراز عناصرها الحوارية:

أ- النبر على المقطع الأول (إنّا: إِنْ) أظهر معنى التأكيد على وقوع المصيبة بهم.

ب- وجود النبر السابق بكلمة واحد (إنّا: إنّ+ اسمها) أظهر ارتباطهم بالحدث.

ج- تطابق موضع النبرين بـ(لمغرمون ومحرومون) أوجد إيقاعا متطابقا بهما.

د- النبر على المقطع (نحن: نَحْ) أظهر إحساسهم بأن المصيبة تخصهم وحدهم.

هـ- النبر على(بل) أبراز معنى الإضراب عن المعنى السابق (الغرم: خسارة الحَبِّ) لينتقل إلى مستوى أكبر في البلاء، هو حرمانهم التام من الرزق .

ثانيا التنغيم:

جاء التنغيم على المقطع الأخير من الفاصلتين وهما (مغرمون: مون ومحرمون: مون: ص ح ح ص) وهو تنغيم هابط في الفاصلتين؛ لأن العبارتين إخباريتان؛ تضمنتا معنى الحسرة والندم مع صيحة الاستغاثة والرجاء في رزق جديد. العناصر الحجاجية في الحوار:

هذا الحوار الذي تم بين الله تبارك وتعالى وبين عباده المنكرين لنعمته عليهم، الذين صرخوا نتيجة ما حدث لهم، ليس ردا على خطاب الله لهم فالحدث يستنفر المنكرين أكثر من القول ويقنعهم، فما أعظمها من حجة لا تقبل الجدال، فهم قوم خصمون، فقام الحوار على عناصر حجاجية مقنعة، لو أنهم يعقلونها:

١. السؤال (أفرأيتم ما تحرثون؟) حدد نوع الرؤية أنها عينية؛ فلا حجة بعدها.
٢. السؤال السابق يقدم الدليل الماديّ الملموس القريب منهم وهو عملية الزرع.
٣. كلمة تحرثون بالسؤال السابق وجهت الأنظار نحو دورهم الحقيقي بالحدث.
٤. الانتقال من الحديث عن دورهم بالحدث إلى الحدث نفسه، مع نسبته لفاعله.
٥. السؤال الثاني قدم الفاعل غير الحقيقي على الفاعل الحقيقي ليصبح الرفض لهذا الفاعل مقدما على بيان الفاعل الحقيقي للحدث، ويصبح تأييد نسب الحدث للفاعل التالي منطقيا وهو الخيار الوحيد.
٦. طرح فكرة ضياع النعمة منهم، ورد فعلهم إذا حدث هذا؛ جعلهم يرون ذلك كله في أذهانهم كأنه حدث فعلا، كان أكبر حجة لإقناعهم بخطورة الموقف.
٧. ذكر صيحة الندم والاستغاثة التي يقولونها جعلتهم يعيشون في قلب الحدث.
٨. قصر الآية الرابعة والخامسة في نعمة الزرع في مقابل نعمة الخلق؛ نظرا للطبيعة الحوارية لكل من نعمتي الزرع والخلق، فنجد أن آية:

الزرع: أخذت جانبا من الحدث وهو سلب النعمة ولحظة الندم والحسرة عليها، فجاءت في جمل قصيرة هي في حقيقتها صيحات استغاثة يصدرها المحرومون **الخلق:** هي امتداد للحوار العقلي بين الحق سبحانه وخلقه حول قدرته على البعث؛ فيثبت قدرته على البعث من خلال تذكيرهم بالنشأة الأولى من طين.

٩- قصر الآيتين الرابعة والخامسة جاء مناسبا لصيحات وصرخات الحسرة .

١٠- نمو انفعالهم من الإحساس بالخسارة فقط إلى الإحساس بالحرمان التام صوره ترتيب الصيحات: من(إنا لمغرمون >> بل نحن محرمون) .

ثالثا: نعمة الماء

ينتقل الحوار بنا إلى نعمة كبرى من نعم الله علينا "نعمة الماء" سائلا عنها باسمها، هل رأيتموها؟ إنه سؤال لا يحتاج إلى جواب؛ لأن كل الناس لا حياة لهم بدونها، ثم يأتي السؤال التالي عمن أنزلها من السماء، فماذا ستفعلون لو أننا حولناها إلى ملح أجاج، لكن لا نجد هنا صراخا ولا صياحا لفقدانهم الماء، كما رأينا عند تحطم الزرع، لأنه لا حياة بعد هذا الحدث، فالقوم كلهم قد ماتوا؛ فلا نجد من يصرخ أو يصيح فالناس لا يحيون بلا ماء، وفى المقابل فإن الإنسان إن لم يجد زرعا فإنه يحيا بالماء لفترة كبيرة، مما يستوجب شكرهم عليها، فكان الصمت عن ذكر عاقبة تحول الماء إلى ملح أبلغ من ذكرها لهم.

عناصر الحوار: متكلم (الله سبحانه) مخاطب (جميع خلقه).

جاء الحديث عن هذه النعمة في ثلاث آيات فقط، وكذلك النعمة التالية، هي نعمة إيقاد النار، خلافا لما رأينا في النعمتين السابقتين، لماذا؟ لأن كلاهما نعم ظاهرة لا يمكن أن تدخل في قضايا جدلية، بل إن أدلة نسبها إليه واضحة جلية لا تحتاج إلى برهان، فقد ربطها الحق بأدلة كونية لا يصل إلي فهم كنهها أبناء عصر النبوة.

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

يقوم الحوار حول نعمة الماء على المنهج السابق، وبعناصره الصوتية السابقة، مع ملامح صوتية جديدة تخص نعمة الماء وتبرزها، منها:

١- تكرار السؤال السابق عن النعمة (أفرأيتم) وإسناد صفتها إلى الأمثلة الخمسة لتنتهي بالمقطع (ص ح ح ص) المنتهى بواو ونون (تشربون) فيتوافقا صوتيا.

٢- (أنزلتموه) جاءت منبورة بنبرين؛ أظهرا ارتباط الماء بالسماء وعدم قدرتهم على إنزاله مما يثبت عجزهم عن دوام الحياة، فضلا عن بدأ الحياة أو البعث.

٣. تكرار صوت الزاي ثلاث مرات بالآية كصوت صفير أشاع فيها نغما جميلا

٤. النبران على (تشكرون: تش/ رون) أبرزا الغرض من ذكر النعمة: شكرها.

٥. الصوت (الجيم) الانفجاري المزدوج الذي تكرر في كلمة واحدة (أُجاجا) أحدث هزة أبرزت شدة ملوحة الماء، فهو يبدأ انفجاريا وينتهي احتكاكيا.

٦. توجيه الخطاب لهم في كلمة شرطية (فلولا) منبورة بنبرين متتاليين، دفعهم وحثهم على ضرورة شكر تلك النعمة التي لا حياة لهم بدونها "الماء".

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم في الآيات الثلاثة كالآتي:

١. **الآية الأولى:** جاء التنغيم فيها كما في الآية الأولى من نعمتي الخلق والزرع. فكلها جمل الاستفهامية، فكان التنغيم فيها صاعدا، تضمن معنى تقرير الرؤية.

٢. **الآية الثانية:** جاء التنغيم فيها كما في الآية الثانية من نعمتي الخلق والزرع، فكلها جمل الاستفهامية، فكان التنغيم صاعدا، تضمن معنى نفي إنزالهم للماء.

٣. **الآية الثالثة:** جاء التنغيم فيها هابطا حاملا معنى الرجاء في أن يشكروه.

رابعا: نعمة إيقاد النار من الشجر الأخضر

يوجه الحق سبحانه أنظار خلقه ناحية نعمة ينعمون بها ولا يشكرونه عليها ألا وهى نعمة إيقاد النار من الشجر الأخضر؛ ذاكرا صفة النار بـ(التي تورون) وأرجعها إلى أصلها (الشجر الأخضر المشبع بالماء) فكيف يصبح الماء نارا؟! ثم يذكر لهم سبب حديثه عن النار؛ أنها تذكرة لهم بنار جهنم، ومتاع للمسافرين يحملونها معهم، ثم يوجه حديثه بعد ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم؛ آمرا إياه أن يشكره على تلك النعم، وذلك بتسبيحه سبحانه، وهنا ينتقل الحوار من حديث بين الله وعباده موجها خطابه لهم؛ إلى توجيه خطابه لنبيه؛ لكن مقصود خطابه أنه موجه إلى المؤمنين به كافة؛ بأن يسبحوا جميعا باسم ربهم العظيم.

عناصر الحوار:

١. متكلم (اللّه سبحانه) المخاطب (جميع خلقه)
٢. متكلم (اللّه سبحانه) المخاطب(نبيه الكريم عليه السلام)

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

١. تكرار السؤال الأول ذاته (أفرأيتم) بكل خصائصه الصوتية والدلالية السابقة.
٢. تكرار السؤال الثاني ذاته (أأنتم) بكل خصائصه الصوتية والدلالية السابقة.
٣. تأتى الآية الثالثة بإجابة للسؤال الثاني تفيد بيان العلة في وجود النار بتقديم الفاعل (نحن) على الفعل (جعلناها) تعظيما لخالق النار في مقطع منبور .

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم في الآيات الثلاثة كالآتي:

١. **الآية الأولى:** جاء التنغيم فيها كما في الآية الأولى من النعم السابقة. فكلها جمل الاستفهامية، فكان التنغيم فيها صاعدا، وتضمن معنى التقرير.
٢. **الآية الثانية:** جاء التنغيم فيها كما في الآية الثانية من النعم السابقة، فكلها جمل الاستفهامية، كان التنغيم صاعدا، تضمن معنى نفى كونهم خلقوا شجرها.
٣. **الآية الثالثة:** التنغيم فيها هابط، لأنها عبارة إخبارية، مع معنى التقرير.

مقاربة بين البناء الصوتي لآيات النعم

جاءت كل نعمة من النعم الأربعة التي ذكرها الحق سبحانه (الخلق. الزرع. الماء. النار) في بناء صوتي مستقل، لكن ما لاحظته على ذلك البناء هو اتفاق كل نعمتين متتاليتين في بنائهما الصوتي، فاختلافا صوتيا عن آيات النعمتين التاليتين لهما، ويمكن بيان ذلك من خلال هذا الجدول:

اسم النعمة	عدد آياتها	السؤال الأول	المفعول	السؤال الثاني	الجملة الأولى	الجملة الثانية	تعقيب الله لها
الخلق	٥	أفرأيتم	ما تمنون	أأنتم	تخلقونه	أم نحن الخالقون	نحن قدرنا
الزرع	٥	أفرأيتم	ما تحرثون	أأنتم	تزرعونه	أم نحن الزارعون	لونشاء لجعلناه
الماء	٣	أفرأيتم	الذي تشربون	أأنتم	أنزلتموه	أم نحن المنزلون	لو نشاء جعلناه
النار	٣	أفرأيتم	التي تورون	أأنتم	أنشأتم	أم نحن المنشئون	نحن جعلناها

ملاحظات على هذا الجدول:

هذا الجدول يُبيّن مواضع الاتفاق والاختلاف الصوتي بين آيات نعم الله على اختلافها؛ مما أوجد لنا إيقاعا متماثلا في كل آية مع الموضع الذي يقابلها بالآية الأخرى، وقد يحدث هذا التوافق أو الاختلاف في نعمة أخري تالية لها أو بينهما فاصل بنعمة ثالثة، مما يجعلنا نوقن أن هذا النص جاء في شكل بناء صوتي محكم، ترابط الإيقاع داخله بصورة عامة، حيث قدم فيها نغما على آخر أو كرر نغما عدة مرات. فنرى منظومة إيقاعية متناسقة ومنسجمة صوتيا معا.

فمن مواضع الاتفاق ما يأتي:

١. أداة الاستفهام في السؤالين واحدة في كل النعم (أفرأيتم ـ أأنتم) الهمزة.

٢. عدد الآيات في النعمتين الأولى والثانية واحد(٥) والثالثة والرابعة واحد(٣)

٣. السؤال الأول مفعوله اسم موصول (ما) في نعمة الخلق والزرع، و(الذي ـ التي) في نعمة الماء والنار.

٤. السؤال الثاني جاء في جملتين متوافقتين في تركيبهما النحوي والصوتي:

أ ـ الجملة الأولى مكونة من: فعل + فاعل+ مفعول (تخلقونه....)

ب ـ الجملة الثانية مكونة من: مبتدأ + خبر اسم فاعل (نحن الخالقون...)

ج ـ الضمائر في الجملتين واحد: نحن + ضمير الجمع السالم في الاسم والفعل (تخلقونه ❖ خالقون). تكرر هذا النمط مع كل النعم الأربعة.

٥. الاتفاق في البناء التركيبي الصوتي للسؤالين اللذين تكررا مع كل نعمة:

السؤال الأول: أفرأيتم + ما + تفعلون؟ يتكرر هذا السؤال مع استبدال يفعلون.
السؤال الثاني: أأنتم + تفعلونه + أم + نحن +الفاعلون.

هذا التوافق الصوتي في السؤالين نتج عن توافق في بناء كلمات السؤالين، وتكرار بعضها، مما يجعلها تبدو كأنها كلمات متطابقة تماما، فنتج عن ذلك أيضا توافق في عدد ونوع المقاطع بتلك الكلمات، وكذلك مواضع النبرين فيهما

٦. التعقيب على النعم الأربعة: (أعنى الجملة التي أتت بعد السؤال الثاني في كل نعمة من النعم الأربعة، فقد اتفقت كل آيتين معا في بنائهما التركيبي، نحو:
أ. الأولى والرابعة: اتفقتا في التكوين: نحن+ فعلنا.(نحن قدَّرْنا ـ نحن جعلناها)
ب ـ الثانية والثالثة: اتفقتا في التكوين: لو+ نشاء+ فعلناه. (لو نشاء لجعلناه ـ لو نشاء جعلناه). مع حذف اللام في الآية الثالثة (جعلناه) .

هذا الاتفاق التركيبي تبعه اتفاق صوتي؛ في المقاطع ومواضع النبرين. مواضع الاختلاف بين الآيات:

١. الاختلاف في عدد آيات كل نعمتين عن أختيهما؛ فالأولى والثانية جاءتا في خمس آيات، والثالثة والرابعة في ثلاث آيات.
٢. اختلاف المعاني التي تُنْتج في كل نعمة عن الأخرى؛ نظرا لطبيعة كل نعمة
٣. اختلاف بين الآيات التي أتت تعقيبا على السؤال الثاني؛ نظرا لطبيعة الحوار الخاص بالنعمة وصفاتها؛ ودخول العنصر الحجاجي عليها، مما جعل التعقيب يسير في اتجاهات مختلفة حسب نوع النعمة وخصائصها، كما نرى فيما يأتي:
أ. نعمة الخلق: سار الحوار الحجاجى في التعقيب ناحية التذكير بالخلق الأول.
ب ـ نعمة الزرع: سار الحوار ناحية ما يحدث عند تحطيم الزرع من خسارة.
ج ـ نعمة الماء: سار الحوار ناحية تحول الماء إلى ملح، طالبا منهم شكرها.
د. نعمة النار: سار الحوار ناحية قيمة النار المادية(متاع للمقوين) والمعنوية (تذكرتهم بنار الآخرة).

هذا الاختلاف في آيات التعقيب أعطى لكل نعمة قيمة حجاجية خاصة بها، ومذاقا صوتيا جعلها مختلفة تبعا لطبيعة حوارها الخاص. هنا يصبح للاختلاف قيمة صوتية، إلى جانب قيمته الدلالية التي يطرحها كل حوار على حدة.

هذا الاتفاق والاختلاف بين كل نعمتين أوجدا إيقاعا ذا ملامح صوتية خاصة؛ مما يجعل القارئ للقرآن يسير خلف نغم خفي؛ فما يكاد يألفه حتى يفاجأ بتغيره، فالإيقاع في القرآن ليس موزونا، نعرفه فنتوقع حدوثه في الآية التالية، بل إنه دائما متغير متجدد، وعلى الرغم من هذا التغيير فهناك إيقاع خفي تسمعه الأذن، وتدركه النفس، إنه إيقاع القرآن العظيم الذي تخشع له القلوب المؤمنة بربها؛ فتزداد قربا منه وخشية له.

المحور الثاني: الهياكل التنغيمية

إن المحور السابق الذي يقوم على تحليل الحوارات التي وردت في الآيات التي تتحدث عن نعم الله؛ دفعنا إلى الحديث عن النغم المتناسق والمتكرر بآيات النعم؛ مما يشكل لنا بناءً صوتيا متناسقا متناغما، جاء في صورة قوالب صوتية متناغمة؛ مما يمكن أن نطلق عليه اسم الهيكل التنغيمي، وقد نشأت هذه القوالب من تكرار كلمات معينة مع كل نعمة جاءت في صورة سؤالين متكررين في كل نعمة بالترتيب ذاته، ثم تعقيب يلي كل من السؤالين. مما يصنع لنا هيكلا تنغيميا يُصب فيه كل سؤال من السؤالين، ثم نجد الهيكل يتكرر مع كل نعمة منهم.

ولكي نحلل تلك القوالب التنغيمية ونحل شفرته؛ كان علينا عقد مقارنة بين الآيات المتشابهة صوتيا، ووضعها تحت بعضها في شكل مجموعات، ثم نلاحظ عناصر الاتفاق الصوتي والاختلاف فيما بينهم .

أولا: الهيكل التنغيمي للمجموعة الأولى

تكون الهيكل التنغيمي من تكرار السؤال الأول الذي جاء في بداية كل نعمة من النعم الأربعة، وقد جمعناه في هذه المجموعة التي تتكون من:

أ- السؤال عن نعمة الخلق: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾

ب - السؤال عن نعمة الزرع: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾

ج - السؤال عن نعمة الماء: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾

د - السؤال عن نعمة النار: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾

نشأ هذا الهيكل التنغيمي لتلك المجموعة من اتفاق كل آياته في:

١. الكلمات: كلمة السؤال "أفرأيتم" تكررت في الآية الأولى من كل نعمة.

٢. المقاطع ومواضع النبر:

تتفق مقاطع هذه الآيات بصورة كبيرة، كذلك في ترتيبها ومواضع نبرها، مع اختلافات طفيفة من زيادة مقطع أو نقصه أو تغير موضع نبر، يتضح هذا بالمقابلة بينها:

أ ـ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾

أَ / فَ / رَ / أَيْ / تُمْ / ما / تُمْ / نُوْنْ

ص ح ˈ /ص ح/ص ح/ص ح ˌص/ص ح ص/ص ح ˌح /ص ح ˈص/ص ح ˌح ص .

ب ـ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾

أَ / فَ / رَ / أَيْ / تُمْ / ما / تَحْ / رُ/ ثُوْنْ

ص ح ˈ /ص ح/ص ح/ص ح ˌص/ص ح ص/ص ح ˌح /ص ح ˈص/**ص ح**/ص ح ˌح ص.

ج ـ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾

أَ / فَ / رَ / أَيْ / تُ / مُلْ / ما / ءَلْ / لَ / ذِى / تَشْ / رَ / بُوْنْ

ص ح ˈ /ص ح/ص ح/ص ح ˌص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ˈص/**ص ح**/ص ح ˌح ص.

د ـ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾

أَ / فَ/ رَ / أَيْ / تُ / مُنْ / نا / رَلْ / لَ / تِي / تُو / رُوْنْ

ص ح ˈ /ص ح/ص ح/ص ح ˌص/ص ح/ص ح ص/ص ح ˌح /ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ˈ ح/ص ح ˌح ص.

ملاحظات على التركيب المقطعي ومواضع النبر في هذه المجموعة:

جاء التركيب المقطعي في الآيات الأربعة مقسما على قسمين، الأول: يضم الآيتين الأولى والثانية، والثاني: يضم الآيتين الثالثة والرابعة، وكل قسم منهما جاء متفقا في نوع المقاطع وترتيبها ومواضع النبر فيه، وذلك من أول الآيتين إلى آخرهما مع زيادة مقطع واحد بإحدى الآيتين، فيصبح لدينا هيكل لكل قسم .

أ- القسم الأول: يشمل الآية الأولى والثانية من المجموعة؛ جاء متفقا في نوع المقاطع وترتيبها مع زيادة مقطع قصير مفتوح في الآية الثانية، كما ترى:

١- ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح'ص/ص ح'ح ص

٢- ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح'ص/ص ح/ص ح'ح ص.

فيصبح الهيكل التنغيمي لهذا القسم هو: ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح'ص/**ص ح**/ص ح'ح ص.

ب- القسم الثاني: يشمل الآية الثالثة والرابعة من المجموعة، جاء متفقا في نوع المقاطع وترتيبها مع زيادة مقطع قصير مفتوح في الآية الثالثة، كما ترى:

٣- ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح'ص/**ص ح**/ص ح'ح ص.

٤- ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح' ح/ص ح'ح ص.

فيصبح الهيكل التنغيمي لهذا القسم هو: ص ح' /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح'ص/**ص ح**/ص ح'ح ص

ثانيا: التنغيم:

جاء التنغيم في الآيات الأربعة متفقا تماما، لأن كل الآيات جاءت في صورة سؤال، ومنتهية بالمقطع (ص ح'ح ص) الذي هو موضع النبر والتنغيم، فكان التنغيم فيهم جميعا صاعدا، يحمل معنى التقرير.

الخلاصة:

نستنتج من ملاحظة هذا التطابق بين السؤالين الواردين في كل قسم من القسمين مما يجعلنا نقول: إن الهيكل التنغيمي في كل قسم يكوّنُ إيقاعا متطابقا عند تكراره في كل من الآيتين المتتاليتين.

ثالثا: الهيكل التنغيمي للمجموعة الثانية

تكون الهيكل التنغيمي من تكرار السؤال الثاني الذي جاء في الآية الثانية

من كل نعمة من النعم الأربعة، وقد جمعناه في هذه المجموعة التي تتكون من:

أ - ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

ب - ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾

ج - ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

د - ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾

نشأ هذا الهيكل التنغيمي لتلك المجموعة من أتفاق كل آياته في:

١- الكلمات: كلمة السؤال "أأنتم" حيث تكررت في الآية الأولى من كل نعمة.

٢- المقاطع والنبر: تتفق مقاطع هذه الآيات بصورة كبيرة، وكذلك في مواضع النبر، مع اختلافات طفيفة من زيادة مقطع أو نقصه أو تغيير موضع نبر، يتضح هذا بالمقابلة بينها:

أ - ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

أَ /أَنْ /تُمْ /تَخْ /لُ /قُو/ نَ/ هُ/أَمْ/ نَحْ/نُلْ /خَا /لِ / قُوْنْ

ص ح' /ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ص/ص ح/ص ح'ح /ص ح/ ص ح/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح/ص ح'ح ص.

ب - ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾

أَ / أَنْ / تَمْ /تَزْ /رَ /عُو /نَ /هُ /أَمْ / نَحْ /نُزْ /زَا / رِ/ عُوْنْ

ص ح' /ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح/ص ح'ح /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ح /ص ح/ص ح'ح ص.

ج - ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

أَ / أَنْ / تُمْ / أَنْ /زَلْ /تُ /مُو /هُ / مِ/ نَلْ / مُزْ /نِ/ أَمْ / نَحْ/نُلْ/ مُنْ/ زِ/ لُوْنْ

ص ح' /ص ح'ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح'ص/ص ح/ص ح'ح /ص ح/ص ح/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح'ص/ص ح/ص ح' ح ص.

د ـ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾

أ / أَنْ / تَمْ/ أَنْ /شَأْ / تُمْ / شَ/ جَ/ رَ/ تَ /ها /أَمْ /نَحْ /نُلْ/مُنْ /شِ/ نُوْنْ
ص ح ٬/ص ح ‘ص/ص ح ٬ص/ص ح ‘ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ‘/ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ‘ص/ص ح ص/ص ح ٬ص/ص ح/ ص ح ‘ح ص.

ملاحظات على التركيب المقطعي ومواضع النبر في هذه المجموعة:

جاء التركيب المقطعي في الآيات الأربعة مقسما على قسمين الأول: يضم الآيتين الأولى والثانية، والثاني: يضم الآيتين الثالثة والرابعة، ، وكل قسم منهما جاء متفقا في نوع المقاطع وترتيبها ومواضع النبر فيه، وذلك من أول الآيتين إلى آخرهما مع زيادة مقطع واحد بإحدى الآيتين، فيصبح لديناهيكل لكل قسم .

أ- القسم الأول: يشمل الآية الأولى والثانية من المجموعة؛ جاء متفقا في نوع المقاطع وترتيبها دون زيادة أو نقص مع اختلاف موضع النبر واحد، كما ترى:

١- ص ح ٬/ص ح ‘ص/ص ح ص/ص ح ٬ص/ص ح/ص ح ‘ح /ص ح/ ص ح/ص ح ‘ص/ص ح ‘ص/ص ح ص/ص ح ٬ح /ص ح/ص ح ‘ح ص.

٢- ص ح ٬/ص ح ‘ص/ص ح ٬ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ‘ح /ص ح/ص ح/ص ح ‘ص/ص ح ‘ص/ص ح ص/ص ح ٬ح /ص ح/ص ح ‘ح ص.

فيصبح الهيكل التنغيمي لهذا القسم هو: ص ح ٬/ص ح ‘ص/ص ح ص/ص ح ٬ص/ص ح/ص ح ‘ح /ص ح/ ص ح/ص ح ‘ص/ص ح ‘ص/ص ح ص/ص ح ٬ح /ص ح/ص ح ‘ح ص.

ب- القسم الثاني: يشمل الآية الثالثة والرابعة من المجموعة، جاء متفقا في عدد مقاطعه؛ مع زيادة مقطع واحد في الآية الثالثة عن الرابعة، أما ترتيب المقاطع ونوعها، فجاء متفقا من المقطع الأول حتى الخامس، ومن الأول حتى السادس حين نعد من الآخر، ويصبح الاختلاف في وسط الآيتين فقط كما ترى:

٣- ص ح ٬/ص ح ‘ص/ص ح ص/ص ح ٬ص/**ص ح/ص ح ‘ح /ص ح/ص ح/ص ح ‘ص/ص ح ‘ص/ص ح**/ص ح ‘ص/ص ح ص/ص ح ٬ص/ص ح/ص ح ‘ ح ص.

٤- ص ح'/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/**ص ح ص/ص ح'/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ح/**ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ص/ص ح/ص ح'ح ص.

ويمكن أن نصنع لهذا القسم هيكلا تنغيميا تقريبيا مختلفا عما سبقه، حيث يتفق أوله وآخره، ويختلف في وسطه في كلا الآيتين، فيصبح كما ترى:

ص ح'/ص ح'ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح'ص/**ص ح/ص ح'ح /ص ح/ص ح'ص/ص ح'ص/ص ح/**ص ح'ص/ص ح ص/ص ح'ص/ص ح/ص ح' ح ص.

لماذا كان الاتفاق بين الآيتين في أول المقاطع وآخرها، وكان الاختلاف في وسطها فقط؟ ذلك لأنها المنطقة الواقعة في الوسط، فلا تدركها أذن السامع، أما ما يقع في بؤرة إدراكها؛ فهو أول الآية وآخرها الذي يبقى في ذاكرته القريبة.

٣ـ التنغيم:

جاء التنغيم في الآيات الأربعة متفقا تماما، لأن كل الآيات جاءت في شكل سؤال، ومنتهية بالمقطع (ص ح'ح ص) الذي هو موضع النبر والتنغيم، فكان التنغيم فيهما صاعدا، يحمل معنى تقرير نسب فعل هذه الأشياء لله وحده، وكذلك نفى نسب ذلك لغيره.

الخلاصة:

نستنتج من ملاحظة هذا التطابق بين السؤالين الواردين في كل قسم من القسمين مما يجعلنا نقول: إن الهيكل التنغيمي في كل قسم يكوّنُ إيقاعا متطابقا عند تكراره في كل من الآيتين المتتاليتين.

الحوار الخامس:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾

هذا حوار جديد بين الحق سبحانه وخلقه، يشير فيه إلى عظمة ما يقسم به سبحانه، فهو لا يقسم بالنجوم؛ بل بمواقع النجوم، ثم جاءت جملة (لو تعلمون)

فاصلة بين المتلازمين (الصفة والموصوف) فالأصل: وإنه لقسم عظيم، فجاءت الجملة الاعتراضية لتقطع المسار الفكري والتتابع الذهني للمعنى الممتد في الآية؛ فيستوقف السامع بتوجيه الخطاب ناحية خلقه، فيتحول الحديث من إخبار لهم إلى خطاب لهم، مما جعلهم مشاركين في الحوار كأحد أطراف هذه القضية، لقد جاءت هذه الجملة الشرطية، لتشير إلى لب القضية وهو أنه لا عظمة لهذا القسم لديهم، وذلك لكفرهم بالله، وجهلهم بالفرق بين النجوم ومواقع النجوم.

الحوار السادس: (لحظة خروج الروح)

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

هذا حوار بين الحق تبارك وتعالى وخلقه حول القدرة الإلهية على الموت، بعرض لحظة خروج الروح، فحينها يتبدل الحديث، وتهتز النفوس، وتخشع القلوب وترتجف؛ لخوفها من لقاء ربها، ساعتها لا تسمع صوتا ولا تجد جدالا ولا حوارا؛ فسكتت الألسن وسجدت الجباه لباريها، فما أعظمها من ساعة، وما أشدها من لحظة؛ تغور فيها العيون في الصدور؛ فلا ترى مما حولها سوى مقامها عند ربها، إنها لحظة يذكرنا الله بها لنستحضرها في نفوسنا قبل أن نتجرأ عليه فنكذب بكتابه، فإذا كنتم تكذبون بالكتاب، فلماذا لا تكذبون بهذا الحدث،وتلك اللحظة؛ فمالك هذه اللحظة وصاحب القول الفصل فيها، هو منزل هذا الكتاب الذي تكذبونه، فهل تكذبون بلحظة الموت؟!

عناصر الحوار: متكلم (الله سبحانه) مخاطب (الذين يكذبون بالكتاب الكريم)

أولا: المصاحبات الصوتية وأثرها على معنى الحوار

إنها لحظة مليئة بالرهبة والهيبة تحتاج لإيقاع يصورها بدقة ويستحضرها في أذهان من حول الميت ليعيشوها مع كل آمال الميت وآلام الموت، نحو:

١- (أفبهذا) استفهام حمل كل معاني الاستنكار والتعجب، التي أبرزتها:

أ ـ همزة الاستفهام المنبورة في أولها أعطت معنى التعجب، واتهامهم بالإنكار.
ب ـ نبر هاء التنبيه أعطى معنى الدهشة لإنكارهم ما يشير إليه. أي هذا الحديث.

٢ـ النبر على (أَنْ) في (أَنْتُمْ) وجه الخطاب إليهم وحدهم، واتهمهم بالكذب؛ فقلل من شأنهم. [أأنتم من يكذب بهذا الحديث؟ فمن أنتم حتى تكذبوا المحيي المميت؟]

٣ـ النبران على (مدهنون: مد/نون) أبرزا معنى الاستنكار، مع وصفهم بالنفاق.

٤ـ النبران على (تجعلون: تج/ لو) أبرزا معنى التحول الذي في الفعل من الحق إلى الباطل. مع إسناد جريمة التحول من الحق إلي الباطل إليهم، واتهامهم بها.

٥ـ النبر على المقطع الأول (أنَّكم: أَنْ) أكَّد إسناد الفعل لهم، وقد خصهم المقطع (كُمْ) بالخطاب، مع اتهامهم بجريمة الكذب، فقدَّم أداة التأكيد (أنَّ) والضمير (كم) على الحدث (تكذبون) ليخصهم بذلك وحدهم قبل الحديث عن الفعل نفسه.

٦ـ النبران على (تكذبون: كذ/ بون) أبرزا هول جريمتهم (التكذيب بكتاب الله)

٧ـ فلولا: إنها محطة انتقال من قضية عدم التصديق بالقرآن إلى قضية أخرى وهى خروج الروح من الجسد، فلابد من وقفة صوتية تبرز حالة الانتقال هذه؛ وذلك بالنبر على كلمة الشرط بنبرين (فلولا: ف/ لو) لإثارة انتباه السامع لهذا التحول، مع (إذا) التي هي ظرف لما يستقبل من الزمان، أي عندما يصل الأمر إلى تلك اللحظة (بلوغ الروح إلى الحلقوم) يجب أن نعيد حساباتنا ونظرتنا إلى ما حولنا؛ فالأمر جد خطير، فيبدأ الحديث عن قضية جديدة؛ هي خروج الروح.

٨ـ النبران على (الحلقوم: حل / قوم)أبرزا الموضع الذي فيه الروح الآن؛ وأنها قد بلغت مرحلة اللاعودة إلى الجسد، على الرغم من أنها لازالت في الجسد.

٩ـ المقطع الأخير بالفاصلة (قوم: ص ح ح ص) منتهى بصوت الميم؛ فهو بهذا

يختلف عن المقطع (ص ح ح ص) الذي في نهاية الفواصل السابقة واللاحقة حيث تنتهي بصوت النون؛ مما أظهر الاختلاف في الحدث بين الآيات السابقة واللاحقة، فالموضع الذي فيه الروح الآن يحتاج إلى انتباه شديد، فهذا الشخص لم يعد قادرا على الكلام الآن؛ فانتبه أيها السامع إلى هذه الوقف الرهيب الذي صنعه التحول من صوت النون إلى الميم في نهاية الفاصلة (الحلقوم: قوم).

١٠. النبر على (وأنتم: أن) يقول: إنني أوجّه الخطاب إليكم أنتم يا من في داخل الحدث، وتشاركون هذا الإنسان لحظة انتهاء حياته، فوضع أنتم في أول الجملة؛ ليخصهم بالخطاب، وليعلن وجودهم السلبي، فلا يصنعون شيئا للميت إلا النظر.

١١. النبران على(حينئذ: حي/إذ) حدد وقت الحدث الذي هم بداخله، وهو التقاء لحظة خروج الروح مع لحظة نظرهم للميت، فأبرز النبران معا ذلك التوقيت.

١٢. النبران على (تنظرون: تن/رون) أظهرا دورهم لحظة خروج الروح أنهم ينظرون للميت فقط دون فعل أي شيء له. إنها تصور عجز الإنسان، وضعفه.

١٣. قدم (نحن) منبور أولها لإبراز موقع الحق سبحانه داخل الصورة في لحظة خروج الروح، فالقرب من الميت لله وحده، وهو أكبر من قربكم أنتم منه .

١٤. النبر على مقطع (مِنْ) في (منكم) خص نفسه في خطابه بأنه الأكثر قربا.

١٥. ثم أسرع بالرد على سؤال توقع أن يسأله أحد الحضور، وهو: أين الله في تلك الصورة ووسط هذا الحدث؟ فتكون الإجابة هي {ولكن لا تبصرون} أي أن العيب فيكم، وذلك بنبر الحدث بنبرين (تبصرون: تب / رون) مما بين أن أصل مشكلة عدم وجود الحق في الصورة؛ هو في عدم إبصارهم هم لما حولهم.

١٦. يأتي الحوار الحجاجي الفاصل في القضية كلها، وهو طلب الحق منهم إرجاع الروح إلى الجسد؛ الذي لم ينقصه شيء بخروجها؛ كدليل على صدقهم، مما استوجب وجود عناصر صوتية لإبراز معنى التحدي لهم، نحو:

أ ـ النبر بنبرين على (فلولا: ف/ لو) أبرزا معنى التحدي الذي يتضمن داخله معنى العجز واليأس من أن يفعلوا ذلك.

ب ـ وتأكد ذلك العجز واليأس من أن يفعلوه من خلال الشك في صدق قولهم بـ (إنْ) المنبورة، التي تضمنت معنى الشك على الرغم من أن معناها الشرط.

ج ـ النبر على المقطع الأول (كُنْ) في كنتُمْ؛ شكك فيما يدّعونه من قدرة على فعل ذلك، فـ (كُنْ) دالت على أن زمن وقوع حدث الموت كان في الماضي.

ج ـ النبران على (ترجعونها: تر/عو) أظهرا موضع التحدي وهو إرجاع الروح

د ـ تكرار (إن كنتم) بالآيتين أكدَّ معنى الشك في الموضعين (أي إن كنتم غير محاسبين: وهم محاسبون) و (إن كنتم صادقين: وهم كاذبون) ثم جاء الشرط (فلولا) الذي ربط بين العبارتين، فكانت العبارتان (غير مدينين ـ صادقين) كاذبتين؛ لعدم حدوث جواب الشرط (ترجعونها) لعدم قدرتهم على ذلك.

هـ ـ تكرار (فلولا) بخصائصها الصوتية مرتين في هذا الحوار أكد على معنى الافتراض في هذين الشرطين، فيفترض أولا: أن روح إنسان ما قد بلغت الحلقوم. ثانيا: أنهم غير محاسبين. ثم يأتي جواب هذين الشرطين واحدا، هو إرجاعهم هذه الروح إلى الجسد. فكان واجبا إبرازهما بنبرهما بنبرين.

ثانيا: التنغيم

جاء التنغيم في هذا الحوار متنوعا لتنوع العبارات التي فيه؛ ما بين عبارة استفهامية وخبرية وإنشائية وطلبية وشرطية، مما يجعل منه حوارا متناغما مختلف الإيقاع لما سبق من أسباب، لهذا يجب عرض كل آية فيه بصورة مستقلة عن أختها لبيان التنغيم الخاص بها. من الآية ٨١ إلى الآية ٨٧.

١ـ التنغيم في الآية: أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾

جاء التنغيم صاعدا، فهي جملة استفهامية، تتضمن معنى الاستنكار لتكذيبهم لكتاب الله، وقع على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (نون: ص ح ص) .

٢ـ التنغيم في الآية: وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

جاء التنغيم صاعدا، فهي جملة معطوفة على الاستفهام السابق، تتضمن معنى الاستنكار أيضا، ولكن من جَعْلِهم رزقَهم هو التكذيب بكتاب الله، وقد وقع التنغيم أيضا على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (بون: ص ح ص) .

٣- التنغيم في الآية: فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾

جاء التنغيم مستويا؛ لأن المعنى لم يكتمل مع نهاية الآية، والسامع متحفز لسماع جواب الشرط، وقد وقع التنغيم على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (قوم: ص ح' ص) .

٤- التنغيم في الآية: وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾

جاء التنغيم مستويا؛ لأن الآية جملة حالية واصفة لحالهم وقت خروج الروح، وليست جوابا للشرط الذي في الآية السابقة، فلازال السامع ينتظر جوابا لهذا الشرط، وقد وقع التنغيم على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (رون: ص ح' ص).

٥- التنغيم في الآية: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾

جاء التنغيم مستويا؛ لأن الآية جملة حالية واصفة لمكان الله سبحانه وقت خروج الروح، وليست جوابا للشرط الذي في الآية (٨٣) فلازال السامع ينتظر جوابا لهذا الشرط، وقد وقع التنغيم على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (رون: ص ح' ص)، وقد توافق هذا التنغيم مع تنغيم الآية السابقة في موضع التنغيم [بالمقطع الأخير من الفاصلة] ونوع المقطع [المقطع: ص ح ح ص] المنبور بالنبر نفسه [ص ح' ص] المتطابق تماما في حروفه [رون] مما يجعل التنغيم في هاتين الآيتين المتتاليتين متطابقا تمام التطابق.

٦- التنغيم في الآية: فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾

جاء التنغيم مستويا؛ فقد جاءت هذه الآية بشرط جديد يضاف للشرط السابق دون جواب للشرط الأول؛ فيقول الحق سبحانه لهم: إن كنتم غير مدينين، وقد وقع التنغيم على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (نين: ص ح' ص).

٧- التنغيم في الآية: تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

جاء التنغيم هابطا؛ فقد كانت هذه الآية جوابا لشرطين، حيث طلب الله سبحانه من منهم إرجاع هذه الروح التي بلغت الحلقوم، ولكنها لم تزل داخل الجسد، وهذا تحد لهم؛ ليثبتوا صدقهم المزعوم. فتنتهي الجملة الطلبية بشرط

ثالث، وهو إن كنتم صادقين فأرجعوها، وبذلك ينتهي معها معنى الآيات كلها، وقد وقع التنغيم على المقطع الأخير المنبور من الفاصلة (قين: ص ح ح ص).

العناصر الحجاجية بالحوار:

اعتمد الحوار على عناصر إقناع جعلت المخاطب عاجزا عن أن يرد عليها:

١- إجراء مقابلة بين شيء مادي ملموس وشيء معنوي يعتمد على الإقناع فقط فلكي يقنعهم بعظمة القرآن وأنه من عند الله الذي أنزله، قدم لهم دليلا على أنه منه، هو قدرته على الإماتة، وعجزكم عن أن تفعلوا للميت شيئا، وهم حضور في هذه اللحظة، فخروج الروح شيء لا يُرى بالعين، ولكنهم جميعا لا ينكرونه؛ وكذلك نزول القرآن من عند الله لم نر نزوله بأعيننا، ولكننا صدقناه بقلوبنا.

٢- تحديد موضع الروح (الحلقوم) بينَّ عجزهم ببلوغ الروح موضع اللارجعة، فهو حجة أثبتت كذبهم، فلم يطلب الحق منهم خلق الروح؛ ولكن إرجاعها فقط.

٣- ودليل أكبر على عجزهم هو حضورهم في موقع الحدث، ومشاركتها فيه بالنظر إلى الميت، فلم يسمعوا عن حادثة الموت، بل هم شركاء فيها بأعينهم.

٤- تحديد مسافة القرب من الميت لحظة خروج الروح، حجة عليهم مادية تبين ضعف قدرتهم على أن يفعلوا له شيئا، فعلى الرغم من قربهم المزعوم منه إلا أن هناك من هو أقرب إليه منكم، وله فاعلية وتأثير في حدث؛ وهو الله سبحانه.

٥- كلمة (لا تبصرون) حجة مادية يرد بها على من يقول: إننا لا نرى الله هنا، فبين العلة في عدم ظهوره لهم، بأنه بسبب عدم إبصارهم، فالعيب فيكم أنتم.

٦- ثم تأتى الحجة الدامغة الدالة على عجزهم وكذبهم، وهى طلبه منهم إرجاع الروح للميت، على الرغم من أنها لم تخرج من الجسد فهي لازالت في الحلقوم.

هذا الحوار بتلك الصورة المنطقية المقنعة والعناصر الصوتية المبينة لكثير من المعاني بينَّ قدرة الحوار الخطابي على توصيل كثير من المعاني، والإقناع بها، بلغة سليمة عالية، فالحوار وسيلة تواصلية إنسانية فعَّالة أساسية بين البشر.

الحوار الأخير

﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

هذا الحوار هو حديث موجه من الله سبحانه إلى نبيه الكريم، يبلغه سلام أصحاب اليمين عليه، ويطلب منه أن يسبح باسم الله العظيم.